

WWW.ALRASED.NET

العدد الواحد والثلاثون - محرم ١٤٢٧هـ

SATAN WANTS YOU..

SATAN WANTS YOU..!!!

عبــــدة الشيطـــــان..!؟

مقتل الوزير نظام المُلك • خفايا صفقة الشيعة والأكراد

طائفية السياسات الشيعية في المنطقة العربية

مجلة الراصد الإسلامية

العدد الحادي والثلاثون – غرة محرم 1427 هـ

فاتحة القول

طائفية السياسات الشيعية في المنطقة العربية

قديماً قال أمير الشعراء أحمد شوقي :

لكل زمان مضى آية   وآية هذا الزمان الصحف

وذلك تعبيراً عن الدور الهام الذي يقوم به الإعلام ، ولإدراك علماء المسلمين هذا الدور المحوري للإعلام والصحف كانوا من رواد العمل الإعلامي والصحفي ، فمن ينسى دور مجلة المنار للسيد رشيد رضا ؟ ومن ينكر دور العلامة محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح، و رئيس مجلة الزهراء في تأسيس النهضة الإسلامية المعاصرة .

ولكن تبدل الحال ، فبعدت المسافة بين أهل الدين و أهل الإعلام ، الذي سيطر عليه اليسار وفلوله وغاب عنه الصدق و الإيمان في الغالب .

و بسبب هذا الغياب لأهل السنة عن الإعلام ، راجت أكاذيب أعداء الإسلام من اليساريين والليبراليين والطائفيين من الشيعة وغيرهم ، ولم يعد هناك من يفضح زيفهم و خداعهم ويكشف مكرهم وعداءهم . وسنركز في هذا المقال على بعض المواقف والتصريحات التي تبين حقيقة سياسات الشيعة المعاصرة و المصادمة للمصالح العامة للأمة الإسلامية ،رغم تظاهرهم بالحرص على الوحدة الوطنية والمصالح المشتركة.

1- من المعلوم لكل عاقل مدى إجرام حزب البعث تجاه الإسلام والمسلمين، سواء في قسمه العراقي أو السوري ، لكن العجيب هو أن غالبية قيادات هذا الحزب بشقيه العراقي والسوري هم من الشيعة الإثني عشرية أو العلوية !!
وفي العراق يتبنى الشيعة سياسة اجتثاث البعثيين السنة دون البعثيين الشيعة !!
وفي العراق قاموا بحظر حزب البعث ، لكن في لبنان يعتبر البعث السوري حليفهم أو ولي الأمر للشيعة ؟؟؟

2- شيعة السعودية و الكويت يستنكرون حق الأغلبية السنية في الحكم، لكنهم في العراق وإيران يرفضون أي دور لأهل السنة ، رغم أن سنة العراق هم الأغلبية وسنة إيران تبلغ ثلث السكان .

وهم يرفضون تشكيل حكومة وحدة وطنية في العراق ، لكنهم يعتبرون أنه يحق لهم المطالبة بالسيطرة على البحرين ! مع أنه لا تصح دعوى أغلبيتهم في البحرين أيضاً !!

3- تعالت أصوات الشيعة معترضة على الدول العربية لتدخلها في العراق،
وذلك حتى يستفرد الشيعة وإيران بالعراق ، لكن لما تضعضع موقف حزب الله في لبنان طالب الدول العربية بالتدخل لمساعدته !!؟

4- يحق للمتشيعين في الدول العربية المطالبة بتكوين أحزاب شيعية كحزب الغدير في مصر ، لكن المواطنين السنة في إيران لا يحق لهم المطالبة بالحرية !

5- يحق للشيعة العراقيين الموجودين في الأردن بناء حسينية لهم عمان بـ7 ملايين دينار ، بينما سنة طهران وهم مليون ونصف لا يجدون مكاناً لصلاة الجمعة منذ عقود سوى مبنى السفارة السعودية أو المدرسة الباكستانية !!؟

6- نقد المرجع السيستاني في برنامج في قناة الجزيرة كبيرة من الكبائر ، تستوجب خروج المظاهرات في العراق وتصريحات منددة لكبار القيادات الشيعية السياسية ، أما رموز الإسلام من الخلفاء وأمهات المسلمين التي تسب في قنوات الشيعة الفضائية،فلا قيمة لها أو وزن عندهم!؟ بل لم نجد لهم حتى تصريح في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي هاجمته صحف الدنمارك والنرويج ؟؟

7- تخوبل المرجعية الشيعية تحديد رئيس الوزراء القادم للعراق ، مع أن هذا يجب أن يكون بالتشاور مع كل الأطراف في العراق لتقديم أدلة ملموسة على نية التعاون الجاد لبناء العراق .

هذه بعض المواقف والتصريحات التي تظهر حقيقة سياسات الشيعة ، وأنها سياسات طائفية ، منبثقة من العقائد الشيعية التي ترى كفر كل ما سواها من المسلمين ، وأباحة دمائهم وأعراضهم ، ولا تعترف بدولة أو نظام قائم مالم يكن مؤمناً بمهديهم المزعوم .
فهل يدرك هذا من يجب أن يدرك هذه الحقائق من علمائنا ودعاتنا وحكامنا؟؟

فرق

عبدة الشيطان

تمثل جماعة "عبدة الشيطان" أحد مظاهر الانتكاسة، والبعد عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، إذ توجهت جماعات وأقوام إلى عبادة الشيطان وتقديسه من دون الله. ونحن في تناولنا لعبدة الشيطان، نود أن ننوه إلى أننا لا نتحدث عن "اليزيدية"ـ تلك الديانة المنتشرة بين الأكراد في العراق وبعض الدول الأخرى، ذلك أننا تناولناها في العدد الثالث من الراصد، والحديث في هذا العدد مقتصر على تلك المجموعات الشبابية التي بدأت تظهر في بعض مجتمعاتنا الإسلامية، ويطلق عليها "عبدة الشيطان" وبدت متأثرة ببعض الأفكار والأديان التي انتشرت في الغرب.

النشأة:

يعتقد أن بداية هذا الفكر كانت في القرن الأول للميلاد عند "الغنوصيين"[(1)]، الذين كانوا ينظرون إلى الشيطان على أنه مساوٍ لله تعالى في القوة والسلطان.

وقد ظهرت فكرة عبادة الشيطان وتقديسه في عدد من الديانات القديمة، وكان عند بعضها آلهة عديدة تمثل الشر. ففي الحضارة المصرية

[1] ـ الغنوصيون: نسبة إلى الغنوصية، وهي كلمة يونانية الأصل "غنوسيس" بمعنى المعرفة، وتعني اصطلاحاً: التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا. وهي حركة وفلسفة قديمة تمثل مزيجاً من العقائد اليونانية والإسرائيلية، والفارسية... انظر الموسوعة الميسرة إصدار الندوة العالمية ص 1113.

القديمة، وُجد الإله (سيت) أو (سيث) وهو يقترب من كلمة satan أي شيطان، الذي يمثل قوة الشر، وقد قدم المصريون له القرابين اتقاءً لشره.

وفي الحضارة الهندية، كان للشيطان دور كبير في حياتهم الدينية، عبروا عنه باسم الراكشا. وعند الإغريق كان اسمه دي إت بولس (D it-Boles)، أي المعترض. وفي أرض فارس، بدأت عبادة الشر والشيطان على تخوم الصحراء الآسيوية، وكانوا يعبدون شياطين الليل التي تطورت للتعبير عن الشر بالظلمة، والخير بالنور، وبما يعرف باسم "الثنوية".

وفي بابل وآشور، تذكر الأساطير أن صراعاً حدث بين آلهة الخير، وآلهة الشر، وفي التراث الأفريقي، ما زال يعتبر سحر الفودو، وهو السحر الرسمي الوحيد في العالم كنوع من تقديس الشيطان، والحصول منه على قدرات خارقة للسيطرة على بعض الناس[1] .

القرون الوسطى

وفي القرون الوسطى، ظهرت في أوروبا عدة جماعات تتخذ من الشيطان إلها ومعبوداً ، منها جماعة "فرسان الهيكل" التي ظهرت في فرنسا، وكان لها اجتماعات ليلية مغلقة تبتهل فيها للشيطان، وتزعم أنه يزورها بصورة امرأة، وتقوم هذه الجماعة بسب المسيح وأمه وحوارييه، وتدعو أتباعها إلى تدنيس كل ما هو مقدس.

وكان فرسان الهيكل يتميزون بلبس قميص أسود يسمونه "الكميسية". وقد انتشرت هذه الجماعة في فرنسا وإنجلترا والنمسا، ثم اكتشفتها الكنيسة، وقامت بحرق مجموعة من أتباعها، وقتلت زعيمها ما بين عامي 1310ـ 1335م، وقد قالت إحدى عضوات هذه المجموعة قبل حرقها: "إن الله ملك السماء، والشيطان ملك الأرض، وهما ندّان متساويان، ويتساجلان النصر والهزيمة، ويتفرد الشيطان بالنصر في العصر الحاضر".

ثم ظهرت عدة جماعات مشابهة بعد ذلك، أخذ بعضها يمارس تعذيب الأطفال وقتلهم، وقد خطف لهذا الغرض مئات الأطفال بين عامي 1432ـ 1440م، والبعض الآخر أخذ يقوم بتسميم الآبار والينابيع مثل "جمعية الصليب الوردي". وفي القرن السابع عشر ظهرت جمعية تسمى "ياكين" تمارس الطقوس نفسها، وقد أعدم منها فوق الثلاثين فرداً، ثم ظهرت جمعيات أخرى مثل: الشعلة البافارية، الشعلة الفرنسية، وأخوة آسيا.

وفي 1770، أسس الألماني آدم وايزهاويت مذهباً مشابهاً باسم "حملة النور الشيطاني"، وقد أغلقت حكومة بافاريا محافل هذا المذهب سنة 1785، وحظرت أي نشاط لها[2] .

ثم اختفت هذه الأفكار لتعاود الظهور في منتصف الأربعينات من القرن العشرين[3].

---

[1]) ـ عبدة الشيطان ـ حسن الباش ص 17.

[2]) ـ بدعة عبادة الشيطان ـ د. أسعد السحمراني ص 8.

ظهورها الحديث

في عام 1948، ألف البريطاني ألستر كراولي الذي تخرج من جامعة كامبردج كتاباً أسماه "الشيطان الأبيض" دافع فيه عن الإثارة والشهوات الجنسية، وألقى محاضرات مطولة عن الجنس في بريطانيا، وأصبح بعد ذلك هو المعلم الأول لجماعة عبدة الشيطان التي أخذت تنتشر أيضا في الولايات المتحدة، ليتزعمها بعد ذلك يهودي أمريكي هو انطوان شذليفي Antone chethleivy، الملقب بالبابا الأسود.

وقد ترعرع ليفي في كاليفورنيا، وفي سنة 1966 أعلن عن فرقته، وأسس في سنة 1969 معبداً يدعى بكنيسة الشيطان (cos)، كما ألف عدداً من الكتب الفلسفية لترويج الفكر الشيطاني، منها كتاب "الشيطان يقول" ويحتوي على عبارات الشيطان التسع وأحكام الأرض الإحدى عشر، وكتاب "الإنجيل الأسود"، وهدف إلى تحقير طقوس المسيحية وشعائرها، وإلى بيان كيفية ممارسة العبادة، ويعتبر مرجعاً أساسياً لتوجيه الأتباع.

وبالرغم من أن معظم الباحثين يذهب إلى أن آنتون ليفي هو مؤسس فكر عبادة الشيطان في العصر الحديث، إلاّ أن البعض ينسب هذا الفكر حديثاً إلى موسيقى الروك والمغني الأمريكي ليتل ريشارد، الذي أدخل سنة 1952م إلى هذا الرقص أنغاماً وحركات تعود إلى العنف، وبعده في عام 1955م، تزعم ألفيس بريسلي الحركة الموسيقية، وراح يخاطب غرائز الشباب، ويشجعهم على رفض القيم الدينية والأخلاقية، وعلى الحياة نفسها[(1)] .

وإضافة إلى الولايات المتحدة، فإن عبادة الشيطان تشهد تزايداً في فرنسا أيضاً، فقد أشار تقرير صدر في شهر مارس/ آذار سنة 2005 عن البعثة الوزارية لمراقبة ومكافحة التجاوزات الطائفية، وتم تسليمه إلى رئيس الوزراء أن ظاهرة عبادة الشيطان تكتسب أرضاً جديدة في فرنسا مما يؤدي إلى زيارة عمليات تدنيس المقابر وطقوس معادية للمسيحية. كما تشهد الظاهرة تزايداً أيضا في الدول الاسكندنافية وروسيا وإيطاليا وإسبانيا وألمانيا واليونان وجنوب أفريقيا، واعترفت بعض الدول بها[(2)].

وحسب تقارير مكتب التحقيقات الفيدرالي في الولايات المتحدة، فإنه يدخل في كل عام في هذه الديانة 50 ألف شخص في مختلف دول العالم، كما أكد أن هذه الطائفة وراء كثير من جرائم القتل وخطف الأطفال، وخاصة في ولايتي سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس، حيث كانت الشرطة تجد بقايا دماء أطفال، وحيوانات مذبوحة بجوارها الشموع والأقنعة السوداء والجماجم[(3)] .

---

[3] ـ عبادة الشيطان ـ صالح الشورة.

[1] ـ موسوعة الأديان الميسرة، ص 323ـ 324.

[2] ـ وكالة رويترز 23/3/2005.

[3]) عبدة الشيطان للباش ص 58.

انتقالها إلى المجتمعات الإسلامية

ظلت المجتمعات الإسلامية محصنة فترة من الوقت من هذه "الديانة الإبليسية"[(1)] إلاّ أن بعض العوامل أدت إلى دخولها إلى بعض الدول الإسلامية، أهمها:

1ـ تطور وسائل الاتصالات، خاصة وأن شبكة الإنترنت هي الوسيلة الأهم لنشر أفكارهم، والتواصل بين الأتباع. ولهم على هذه الشبكة أكثر من ثمانية آلاف عنوان.

2ـ تسارع وتيرة التطبيع بين الدولة اليهودية، والعديد من الدول العربية والإسلامية، الأمر الذي أدى إلى ازدياد الخلطة بين مواطني هذه الدول وبين اليهود، خاصة في مصر، التي يفد إليها الكثير من اليهود، وبخاصة عبر منفذ طابا، الذي تحول إلى نقطة التقاء مهمة بين اليهود والمصريين، ولا يخفى هنا حرص اليهود على إفساد المسلمين، وصرفهم عن دينهم، ونشر الأفكار المنحرفة بينهم، ومنها أفكار عبادة الشيطان. لاسيما أن الشيطان حسب العقيدة اليهودية، رمز من رموز القوة المطلقة التي تضاهي قوة الله سبحانه، كما أنهم لا يُحملون الشيطان وزر إغواء آدم وإخراجه من الجنة[(2)] .

3ـ ترويج الكُتاب اليساريين للأفكار المنحرفة في المجتمعات الإسلامية. وقد اعتبر أن من إرهاصات فكر عبادة الشيطان في بلادنا، المحاضرة التي ألقاها في بيروت الشيوعي السوري د. صادق جلال العظم سنة 1996 بعنوان "مأساة إبليس"، دعا فيها إلى رد الاعتبار لإبليس، والكف عن كيل السباب له والتعوذ منه، والعفو عنه، وطلب الصفح له، وهي المحاضرة التي ساقته إلى المحاكمة والتي تراجع أمامها لينجو من العقاب، وهو تراجع كاذب، وقد ضمنها من بعد كتابه "نقد الفكر الديني"[(3)].

4ـ تسخير كافة وسائل الإعلام والثقافة والفن، لنشر أفكار عبادة الشيطان، وجعلها مستساغة عند المسلمين، ومن ذلك نشر وسائل الإعلام الغربية لأفلام تتحدث عن مصاصي الدماء، وأشخاص ذوي قدرات سحرية، ليغروا الشباب بامتلاكها إن وجدت، مثل فيلم الغراب the crow، ومسلسل بافي، وإنجل وغيرها، وللأسف تساهم كثير من الفضائيات العربية في نشر مثل تلك الأعمال.

ومن سبل الدعاية لهذا الفكر بعض أنواع الموسيقى، مثل موسيقى Black Metal ، وهي موسيقى صاخبة تعتمد على الجيتار الإليكتروني، ومن أشهر الفرق التي تتغنى بعظمة الشيطان وتدعو إلى فكره، فرقة Dimmu Borgir وفرقة slayer، وأشهر مغنٍ يدعو إلى هذا الفكر يدعى مارلين مانسون، الذي ألّف كتاب "الطريق الخارج من جهنم"، ويخرج أغانيه بأسلوب فلسفي يثير غرائز الشباب، ويدعوهم للإعجاب بهذا الفكر.

---

[1] ـ اللقب الذي يطلقه فهمي هويدي عليها.

[2]) ـ عبدة الشيطان، للباش ص 19.

[3] ـ إظهار الحق ص 180 ـ د. محمد المفتي.

ويقول علماء النفس أن موسيقى بلاك ميتال تصنع نوعاً من الغياب الذهني.

كما ألف أتباع هذه الطائفة الكتب الكثيرة للدعوة إلى باطلهم، منها: "صمت إبليس" تأليف د. لورانس بازدر، و "إبليس تحت الأرض"، و "جاء لتحرير الرهائن" و "الطقوس الشيطانية" و "الساحر الشيطاني"، و "مذكرة الشيطان"[1] .

تسربها للدول العربية

1ـ مصر

أول ظهور لعبدة الشيطان في مصر، يعود إلى أواخر سنة 1996م، ويقال أن كلمة "عبدة الشيطان" ترددت على أسماع المصريين لأول مرة في 27/1/1997، عندما خرجت الصحف المصرية تحمل خبراً مثيراً للجدل، عن القبض على 86 شاباً وفتاة يعبدون الشيطان.

وقد تبين أن هذه المجموعة تتراوح أعمارهم بين 15و 24 سنة، وأنهم من خريجي المدارس الأجنبية، ومن أولاد الطبقة الغنيّة.

كما تبين أنهم اعتنقوا هذا الفكر عن طريق الاختلاط بالإسرائيليين في المنطقة المصرح فيها بدخولهم إلى الأراضي المصرية بدون جوازات سفر إلى جوار طابا ومن خلال استدراجهم بالجنس والمخدرات والخمور[2].

كما قبضت السلطات المصرية في شهر مايو/ أيار سنة 2001م على 55 من الشاذين من عبدة الشيطان، ووجّهت لهم تهم ازدراء الأديان، واستغلال الدين في ترويج أفكار متطرفة.

وقد تم القبض على هذه المجموعة على متن باخرة نيلية، وكانوا يتخذون من صالة "الديسكو" فيها مكاناً لتجمعهم، وإقامة حفلات التعارف والتزاوج بعد تقسيم أنفسهم إلى رجال أزواج، ورجال زوجات![3].

ومن القيادات الرئيسية في جماعة عبدة الشيطان في مصر أحمد عمر عبد الغفار وطارق حسن، وهو صاحب فرقة موسيقية، وشاب آخر اسمه تامر علاء[4] .

ومن بين الأماكن التي اتخذها عبدة الشيطان في مصر مقراً لممارسة طقوسهم، قصر البارون الشهير، الذي بني سنة 1905م، وهُجر فيما بعد، ولم تكن عليه حراسة فعّالة، إذ كانت تتسلل جموع الشباب والشابات إلى القصر لإقامة طقوسهم، وعندما كانوا يبدأون بحفلاتهم،

---

[1] ـ عبادة الشيطان: خالد غسان، وعبادة الشيطان: صالح الشورة.

[2] ـ إظهار الحق ص175.

[3] ـ أخبار الحوادث المصرية 17/5/2001.

[4] ـ إظهار الحق ص 180.

يظن الناس أنها أصوات لأشباح وعفاريت، ثم تبين أنها لم تكن سوى تلك الصرخات الشيطانية المصاحبة لموسيقى الروك[1] .

2ـ الأردن

ظهرت مشكلة عبادة الشيطان في الأردن في منتصف التسعينات، وقد حاولت السلطات آنذاك التقليل من حجمها إلى أن قبضت على مجموعة منهم في شهر سبتمبر/ أيلول سنة 2002، في إحدى قاعات الاحتفال في منطقة عبدون الراقية في عمّان، وهم يمارسون طقوساً غريبة، ويرتدون ملابس فاضحة، ويتقلدون بسلاسل من ذهب،ويرقصون بطريقة مثيرة على أنغام موسيقى غربية صاخبة.

كما داهمت السلطات عدداً من المحال التجارية التي تقوم بتوزيع أشرطة الفيديو، وأقراص CD، التي تروج لفكر عبادة الشيطان. وأعلنت دائرة المطبوعات والنشر عن مصادرة نحو ألف شريط فيديو، ومئات أقراص الكمبيوتر[2].

وكانت قد شهدت بعض الجامعات الخاصة تجمعات لهؤلاء الشباب والفتيات ، مما سبب بعض الصدامات مع الطلاب والمدرسين ، وقد تكرر في بعض الجامعات حوادث تلويث المصليات بالقاذورات ، وهو ما حدث أيضاً في مسجد زيد بن حارثة بمنطقة الجبل الأخضر في مدينة عمان .

3ـ لبنان

في مطلع عام 2003 أطلق وزير الداخلية اللبناني ـ آنذاك ـ إلياس المر صرخة نذير بشأن شباب لبنان، بسبب تفشي الظاهرة بينهم، داعياً إلى التشدد في تطبيق القوانين تجاه عبدة الشيطان. كما أعلن الوزير عن انتحار 11 شخصاً سنة 2002 وقعوا في براثن هذه الجماعة التي كانت قد شهدت انتشاراً في السنوات الماضية، ولا تزال تتغلغل في المدن. كما أعلن عن نية وزارته إنشاء مكتب مكافحة "عبدة الشيطان".

ويقول اللبنانيون أن عبدة الشيطان يعود ظهورهم في بلادهم إلى فترة الحرب الأهلية، وتحديداً إلى عام 1986، عندما قامت القوى الأمنية بمداهمة أحد الفنادق في منطقة جونيه بشمال بيروت، وألقت القبض على مجموعة منهم[3] .

وقد أوردت صحيفة الشرق الأوسط (1/3/2003) قصة لأحد أفراد عبدة الشيطان ممن أقدموا على الانتحار، ويبلغ من العمر 13 عاماً فقط، إذ أطلق على رأسه رصاصة، تاركاً بجانبه رسالة إلى أهله وأخوته، يقول

---

1) ـ عبدة الشيطان للباش ص 68.

2 ـ مقال: أتباع عبدة الشيطان ينتقلون من مصر إلى الأردن ـ أحمد هريدي محمد.

3 ـ فاديا عثمان ـ الشرق الأوسط 1/3/2003.

فيها إنه ذاهب إلى عالمه حيث السعادة الحقيقية، وإنه حزين عليهم كيف يعيشون في هذا العالم، وإنه سيتذكرهم دائما.

ولم يكن الأهل يعلمون أن ابنهم من عبدة الشيطان، وقالوا إنه لم يظهر على ابنهم ما يدل على أنه من أتباع هذه الجماعة، ولم يرتد أية أماكن خاصة سوى الذهاب إلى السينما، ولكنه كان كثيراً ما يجلس إلى طاولة الكمبيوتر والإنترنت.

4ـ البحرين

نقلت وكالة يو بي آي عن صحيفة الوطن السعودية في 12/4/2005 أن السلطات البحرينية على وشك القبض على رئيس تجمع عبدة الشيطان في البحرين، بعد حصولها على معلومات عنه، عقب اكتشافها حفلات للشواذ في أحد فنادق العاصمة المنامة.

ونقلت الصحيفة عن طالب في المرحلة المتوسطة أنه تلقى دعوة إلى الحضور من جماعة مجهولة نظمت 3 لقاءات منذ العام الماضي، في حين تجاوز أعداد الحضور 150 شخصاً من عبدة الشيطان، غالبيتهم تقل أعمارهم عن 15 عاماً.

وقال هذا الطالب بأنه حضر لقاءاتهم مرتين، مصطحباً كاميرا لتصوير الحفل، إلاّ أن سوء الإضاءة لم يمكنه من ذلك. وأشار إلى أن الحضور يبدأون بالرقص العاري، وتناول الخمور والمخدرات على وقع موسيقى صاخبة، إلى أن يدخل الجميع في حالة هيجان عامة تؤدي إلى الإغماء، يتخللها ممارسات شاذة لا أخلاقية.

وأشار عضو بمجلس الأمة البحريني إلى أن حفلات الشواذ التي تقام في العاصمة ، يحضرها شواذ قدموا من دول خليجية أخرى[1].

5ـ المغرب

بدأت تنتشر في المدن السياحية كالدار البيضاء والرباط ومراكش وفاس وأغادير والصويرة . وينظمون حفلات بشكل دوري، أما لقاءاتهم العادية فتتم داخل مقاهٍ يلتقون فيها سرّاً، وقد يشاهدهم الناس منعزلين في ركن منها، وهم يتشحون بالسواد الذي يرمز للعوالم الشيطانية، ويتحدثون عن الموت بينما يدخنون الحشيش[2] .

وفي بداية شهر آذار مارس 2003 ، كتبت الصحف عن اعتقال 14 شاباً أحدهم مصري الجنسية، وتم الحكم عليهم بالسجن والغرامة المادية. واستنكر أهالي الشباب الأحكام الصادرة ضدهم قائلين إن أبناءهم مجرد أشخاص مولعون بالموسيقى[3] .

---

[1] ـ صحيفة الوسط البحرينية 15/4/2005.

[2] ـ شبكة حضرموت العربية 19/11/1426هـ.

[3]) بدعة عبادة الشيطان ص100.

6ـ الجزائر

نشرت وسائل الإعلام هناك بتاريخ 3/2/2002 تقريراً إخبارياً جاء فيه أن مجموعة تلتقي كل ليلة في مقبرة مسيحية في الجزائر العاصمة وبحوزتها أشرطة تتحدث عن القوى الشيطانية، والقوى الخفية، وكانت تلك المجموعة تقدم قرباناً، عبارة عن ديك أو قط أسود، يذبحونه ويلطخون أجسادهم العارية من دمه، ثم يهمهمون بكلام غامض، ويدورون حول الدم المأخوذ من الحيوان الذي مزقوه قبل أن يبدؤوا بتصرفاتهم الشاذة.

ونقل معد التقرير عن طالب جامعي جزائري قوله: "لا يهمني ما يقوله الناس عني، مشرك أم كافر أم ملحد... أنا أشعر براحة الضمير، وواثق من تصرفاتي".

وعن سبب انضمام هذا الشاب إلى عبدة الشيطان، أفاد بأن ذلك كان من خلال محاضرة عبر الإنترنت ألقاها شخص سويسري من أتباع هذه الطائفة[1].

7ـ تركيا

كتبت إحدى الصحف في 24/1/2002 عن القلق الذي تبديه السلطات تجاه تزايد حالات الانتحار من قبل بعض الفتيات المنتميات لعبدة الشيطان، فقد ألقت طالبة في المرحلة الثانوية نفسها من فوق جسر بوغازيجي إلى مياه مضيق البسفور، كما انتحرت طالبة أخرى تدرس في مدرسة أجنبية خاصة في كانون الأول/ديسمبر 2000، وقد ذكرت صحيفة "زمان" التركية اليومية أن عدد عبدة الشيطان في تركيا يصل إلى ثلاثة آلاف[2].

8ـ ماليزيا

اكتشفت السلطات الماليزية أول تواجد لعبدة الشيطان في عام 2001، واعتقلت آنذاك 150 شخصاً، وفي بداية شهر ديسمبر/ كانون الأول سنة 2005، وفيما يبدو أنه إحياء لتنظيم عبدة الشيطان، تم القبض على 105 شباب، بينهم 4 فتيات في عملية مداهمة لحفل موسيقي صاخب في قاعة بولاية نيجري سيمبيلان جنوب البلاد.

وتراوحت أعمار المجموعة بين 20 و 30 عاماً، ودلت الاختبارات التي أجريت عليهم أن 30 منهم تعاطوا المخدرات[3].

وتقول وزيرة التنمية الاجتماعية في ماليزيا زهرة سليمان أن هذه الطائفة تقوم بأعمال إلحادية، وحرق الكتب الدينية كالمصاحف، والقيام بسلوكيات غير عادية.

ويقول طالب، كان ينتمي لهذه الطائفة، أن عبدة الشيطان في ولايتي صباح وسراواك الشرقيتين، يقومون عادة بطقوس ذبح الماعز

---

[1]) ـ بدعة عبادة الشيطان ص95ـ 96.

[2]) المصدر السابق ص96.

[3] ـ وكالة الأنباء الألمانية 5/12/2005.

بشكل خاص، وشرب دمائها خلال سماع موسيقى البلاك ميتاك، وإن هذه البدعة تنتشر بشكل سريع في المدارس وبين الشباب[1] .

وأخيرا حظرت ماليزيا جميع أشكال موسيقى بلاك ميتال، وقال رئيس المجلس الوطني الإسلامي شكور حسين : رغم أن بلاك ميتال مجرد شكل من أشكال الموسيقى، إلا أن ثقافتها تدفع أنصارها إلى عبادة الشيطان والتمرد والقتل وتحض على الكراهية، وتدفعهم لممارسة شعائر مثل شرب دماء بشرية مخلوطة بدماء ماعز، أو إحراق نسخ من القرآن الكريم ([2]).

9ـ في سجن أبو غريب

ربط البعض بين الممارسات الشاذة التي ارتكبها السجانون الأميركيون في سجن أبو غريب في بغداد، وبين الطقوس التي يقوم بها عبدة الشيطان.

وسبب الربط يعود إلى معلومات غير مؤكدة للآن أن مجموعة من المسؤولين عن العمليات الخاصة في قاعدة فورت براغ العسكرية (Fort Bragg) ضالعة في ممارسات السحر والشعوذة، وبرامج وتجارب الحرب الذهنية بالاشتراك مع عناصر تنتمي إلى جماعات عبادة الشيطان"[3].

10ـ غوانتانامو

وفي المقال السابق، أشارت المجلة أيضاً إلى أن ما ارتكبه السجانون الأميركيون في معتقل غوانتانامو، له علاقة بفكر عبادة الشيطان، إذ أشارت المجلة إلى أن وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد أرسل في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني، سنة 2002، إلى الجنرال جيفري ميلر (Geoffry Miller) ليتولى قيادة معتقل غوانتانامو، لأن رامسفيلد كان يعتقد أن القائد الأسبق لم يحصل على نتائج جيدة في التحقيق. أما القائد الجديد ميلر فقيل عنه حينها أنه من جماعة "مقوسي الملاعق" (ممارسي الشعوذة والممارسات الباطنية).

وفي غوانتانامو شاهد العالم تدنيس القرآن الكريم حسبما نشرته مجلة نيوزويك. وازدراء الأديان وتحقيرها هو من أفكار عبدة الشيطان التي سيأتي بيانها.

وقد كتب أحد الضباط السابقين في الجيش الأمريكي عن بعض الممارسات التي حدثت في غوانتانامو فقال: "واحدة من التجارب التي تعلق في الذاكرة أكثر من أي شيء آخر هي لما قام أحد مسؤولي المعسكر برمي الإنجيل على الأرض وبدأ بركله وغير ذلك.. إنها كانت

---

[1]) بدعة عبادة الشيطان ص97.

[2]) وكالة الأنباء الألمانية 24/1/2006.

[3] ـ مجلة إكزكتف إنتلجنس رفيو 26/8/2005.

صدمة قوية، ولو أن هذا كان فقط في تدريب. إنني لا أشك في صحة قصة تدنيس القرآن"[1].

أفكارهم وطقوسهم وممارساتهم

1ـ اعتقادهم بأن الشيطان ظُلم من قبل الله ـ حاشا لله ـ عندما طرده من الجنة لمّا رفض السجود لآدم، لذلك فإنهم يعتبرون أن الشيطان يستحق التقدير، وهو رمز القوة والإصرار. كما يعتبرون الشيطان القوة العظمى التي تحرك الحياة والبشر.

2ـ إطلاق العنان لممارسة الجنس والشهوات وتعاطي المخدرات والخمور، إذ جاء في بعض وصاياهم: "أطلق العنان لأهوائك، وانغمس في اللّذة، واتبع الشيطان فهو لن يأمرك إلاّ بما يؤكد ذاتك، ويجعل وجودك وجوداً حيوياً". وكان تراولي، الذي سبق ذكره، يقول لأتباعه: "خذ من الجنس ما شئت، وكيف تشاء ومع من تشاء، وعلى الآخر أن يسلم لك".

3ـ من طقوسهم: ارتداء الثياب السوداء، وإطالة الشعور، ورسم وشم الصليب المعقوف على صدورهم وأذرعهم، أو النجمة السداسية. ولبس قلادة سوداء عبارة عن نجمة خماسية يتوسطها رأس شيطان بقرنين ملتويين إلى الخلف.

4ـ يفضلون الاجتماع لأداء طقوسهم في أماكن مهجورة أو نائية أحياناً، ويرسمون على جدرانها أشكالاً مخيفة كالأفاعي والجماجم، أو أشكالاً غريبة تدمج فيها أكثر من حيوان أو هيئة.

5ـ يرافقهم في هذه الجلسات الموسيقى الصاخبة Hard Rock، ويرددون بعض الكلمات على شكل أغانٍ ينشد فيها الموت والانتحار، إضافة إلى تعاطي المخدرات والمسكرات بشكل مبالغ، وفي مثل هذه الحالات قد يلعقون دماء بعض، أو يمزقون قطة أو كلباً، أو ديكاً ويختارون اللون الأسود من الحيوانات، ويمزقونه وهو حي يعبثون بدمائه.

6ـ إقدام بعضهم على الانتحار، لأن هذا من الحرية التي يزعمونها، إذ يقولون أن للإنسان الحرية أن يأكل ما يشاء، ويلبس ما يشاء، ويموت متى يشاء! والانتحار عندهم انتقال إلى عالم السعادة الحقيقية، وأشبه بمحطة من محطات كثيرة يتدرج فيها الإنسان[2].

7ـ نبش القبور وإخراج جثث الموتى، ويتراقص كبيرهم فوق الجثة التي يعثرون عليها. ويقولون إنهم يفعلون ذلك لتقسية قلوبهم، ولمعاينة العدم والشعور به محسوساً، والتدريب على ممارسة القتل دون أن تطرف لهم عين.

8ـ اعتبارهم أن الأخلاق تكرس الضعف وحماية الضعفاء، وهم إنما يريدون أن تقوم العلاقات بين الناس وفق اللذة والمنفعة، ويعتبرون الأخلاق عنصر تعويق، لا عامل دفع وترقية.

الوصايا التسع

---

1 ـ المقال السابق.

2 ـ د. أسعد السحمراني ـ الشرق الأوسط 1/3/2003.

وهي مجموعة من الوصايا والمبادئ التي تعتبر من ثوابتهم:

1ـ أطلق العنان لأهوائك وانغمس في اللذة.

2ـ اتبع الشيطان، فهو لن يأمرك إلاّ بما يؤكد ذاتك ويجعل وجودك وجوداً حيوياً.

3ـ الشيطان يمثل الحكمة والحيوية غير المشوهة، وغير الملوثة، فلا تخدع نفسك بأفكار زائفة سرابية الهدف.

4ـ أفكار الشيطان محسوسة ملموسة ومشاهدة، ولها مذاق، وتفعل بالنفس والجسم فعل الترياق، والعمل بها فيه الشفاء لكل أمراض النفس.

5ـ لا ينبغي أن تتورط في الحب، فالحب ضعف وتخاذل وتهافت.

6ـ الشيطان يمثل الشفقة لمن يستحقونها بدلاً من مضيعة الحب للآخرين وجاحدي الجميل.

7ـ انتزع حقوقك من الآخرين، ومن يضربك على خدك، فاضربه بجميع يديك على جسمه كله.

8ـ لا تحب جارك، وإنما عامله كأحد الناس العاديين.

9ـ لا تتزوج، ولا تنجبـ فتتخلص من أن تكون وسيلة بيولوجية للحياة وللاستمرار فيها، وتكون لنفسك فقط[1] .

بين اليزيدية وعبدة الشيطان

تنتشر الديانة اليزيدية التي تقوم على تقديس الشيطان في الوسط الكردي في العراق وسوريا وجورجيا وأرمينيا، ويعتبر اليزيديون أن الشيطان هو مسبب الشر، لذلك طُرد من الجنة، ويسمونه طاووس ملك، ويدعون إلى تجنب شره بتقديسه، ويعتقدون بأنه سيتوب في آخر الزمان، أو يعود إلى مكانته عند الخالق.

كما أنهم يرون في الشيطان رمز المعاندة، والتوحيدـ عندما رفض أمر الله بالسجود للإنسان.

فاليزيدية بهذا المفهوم للشيطان لا يختلفون عن جماعة عبدة الشيطان التي أسسها ليفي سنة 1966، لكنّ اليزيدية تحرم الزنا والشذوذ الذي يعتبر من الأساسيات عند عبدة الشيطان، كما أن هناك من يرى أن جماعة عبدة الشيطان تشكل خطراً يفوق خطر اليزيدية كون الديانة اليزيدية تمثل فكرة شبه مغلقة، ولا تنشطر، كما أن اليزيديين لا يستخدمون أية تقنيات في طقوسهم، وتنتشر بينهم الأمية والجهل[2] .

للاستزادة:

1ـ عبدة الشيطان وحركات انحرافية أخرى ـ حسن الباش.

---

[1] ـ إظهار الحق ص 177، وعبدة الشيطان للباش ص 75.

[2]) ـ بدعة عبادة الشيطان ص 37ـ 40.

2ـ بدعة عبادة الشيطان ـ د. أسعد السحمراني.

3ـ إظهار الحق في الأديان والفرق ـ الدكتور محمد مختار المفتي.

4ـ موسوعة الأديان الميسرة ـ إصدار دار النفائس.

5ـ مقال: عبادة الشيطان والاقتراب من الإثم ـ صالح الشورة ـ الغد 24/6/2005.

6ـ مقال:عبادة الشيطان بين الحقيقة والخيال ـ خالد غسان ـ الرأي 21/7/2005.

7ـ مقال: معالجة ظاهرة عبدة الشيطان بالتكتم ، فاديا عثمان الشرق الأوسط 1/3/2003.

8ـ تحقيق:القبض على 55 شاذا يعبدون الشيطان،أخبار الحوادث المصرية 17/5/2005.

سطور من الذاكرة

قتل الوزير نظام الملك

في الربع الأول من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بدأت تظهر على السطح قوة عسكرية من المسلمين الأتراك، هي قوة السلاجقة الذين ينتسبون إلى سلجوق بن تقاق، حيث أصبحوا قوة واضحة في خراسان وما وراء النهر التي كانت تتبع للدولة الغزنوية.

لكن بداية الحكم السلجوقي، وتأثيره في الحياة السياسية الإسلامية، لم يبدأ إلاّ في سنة 429هـ (1037م) عندما ورث زعامة هذا البيت أحد أحفاد سلجوق، وهو طغرل بك محمد، حيث تمكن في ذلك العام من الاستيلاء على مرو من الغزنويين، واستطاع أن يوطّد حكمه على كامل

خراسان بما فيها عاصمتها نيسابور، وأعلن نفسه سلطاناً فيها، وبعث إلى الخليفة العباسي في بغداد القائم بأمر الله يطلب مباركته، ثم استولى طغرل على المناطق المجاورة وأهمها خوارزم وطبرستان وجرجان والري وبلخ...

وهكذا تمكن طغرل من إقامة دولة واسعة الأرجاء في المشرق الإسلامي على حساب دولة الغزنويين([1]) ودولة بني بويه([2])، مما شجع الخليفة على استدعاء السلطان طغرل بك، والطلب منه لدخول بغداد لمواجهة البويهيين، ومؤامرات العبيديين الفاطميين([3]).

واستطاع طغرل في ظل هذه الظروف أن يدخل بغداد، وينقذ الخليفة ويعيده إلى مقره معززاً مكرّماً، ويقضي على بني بويه سنة 447هـ ثم يقاتل البساسيري، ويقتله سنة 451.

وكانت الصبغة السنية شديدة الوضوح في دولة السلاجقة، إذ كانوا شديدي التمسك بمذهب أهل السنة، وكانوا يعدون أنفسهم جنود الخلافة الأوفياء، وإن كانوا لم يعيدوا للخليفة السلطات الفعلية التي فقدها إبان حكم البويهيين.

وبعد وفاة طغرل سنة 455هـ تسلم زعامة هذه الدولة الفتية ابن أخيه ألب أرسلان بن داود، فوطّد الحكم السلجوقي، واتجه بفتوحاته إلى بلاد الروم، وأوقع بهم هزيمة كبرى في معركة ملاذ كرد ،سنة 463هـ (1060م)، ودخل الإسلام بلاد الأناضول.

وكان السلطان ألب أرسلان قد اتخذ سنة 456هـ، أي بعد عام من تقلده زعامة دولة السلاجقة،من علي حسن بن علي بن إسحاق الطوسي المعروف بنظام الملك وزيراً له، بعد أن كان قد عمل مع داود بن ميكال، والد ألب أرسلان عندما كان يحكم خراسان، وقد علم ذكاءه وفطنته، وقدرته على تصريف الأمور، فما كان من داود إلاّ أن ألحق نظام الملك بحاشية ابنه طالباً منه أن يستفيد من قدرات نظام الملك، ويعرف له حقّه قائلاً له: "اتخذه والداً، ولا تخالفه فيما يشير به".

وظل نظام الملك وزيراً ومساعداً لألب أرسلان أكثر من 9 سنوات فازدهرت الدولة في أثنائها وتوطدت دعائمها، وارتفع شأنها، واتسعت

---

[1] ـ إحدى أكبر الدول في تاريخ الإسلام، نظرا لما وفقت به من نشر الإسلام وتوسيع رقعته في الهند وأفغانستان وغيرها، ويعتبر السلطان محمود الغزنوي أعظم سلاطين هذه الدولة السنيّة.

[2] ـ دولة شيعية سيطرت على العراق وإيران، زمن الدولة العباسية، وكانوا يسيطرون فعلياً على مقاليد الأمور في بغداد، وحاولوا إسقاط الخلافة العباسية، وتحويلها إلى الدولة العبيدية الفاطمية الشيعية الإسماعيلية، حيث نشأ حلف بين البويهيين والعبيديين.

[3] ـ سعى العبيديون لإسقاط الخلافة الإسلامية في بغداد، وكانت إحدى تلك المحاولات دعم البساسيري، وهو أحد قادة العسكر عند البويهيين، بالمال والجند والدعاة للخروج على الخليفة العباسي، وبالفعل حوّل البساسيري الخطبة للعبيديين سنة 450هـ، وقبض على الخليفة العباسي، وسجنه.

حدودها، وتوجت جهود ألب أرسلان والوزير نظام الملك بالانتصار على الروم البيزنطيين في معركة ملاذ كرد الخالدة.

وتوفي ألب أرسلان سنة 465هـ (1072م)، ودّب الصراع فيمن يخلفه، إلى أن وضع نظام الملك نفوذه وقوته إلى جوار ملكشاه أكبر أبناء ألب أرسلان، ليصبح ثالث سلاطين السلاجقة.

كان السلطان الجديد في العشرين من عمره،والوزير نظام الملك في الخامسة والخمسين، عالماً ناضجاً، ووزيراً محنّكاً صهرته التجارب والأيام. وأسند ملكشاه الوزارة لنظام الملك حتى تستقر الأوضاع في الدولة التي كان يضعفها صراع الأمراء على السلطة، وقد ألقى إليه بمقاليد الأمور، ووضع فيه ثقته.

وأدت هذه العلاقة الوثيقة بين السلطان السلجوقي ملكشاه ووزيره الفذ نظام الملك إلى ازدهار الدولة وبلوغها ذروة المجد، فاتسعت حدودها، حتى شمل سلطانها بلاد الشام، وأجزاء من بلاد الروم، ومدت نفوذها إلى كرمان وآسيا الصغرى وأصبحت دولة مترامية الأطراف تمتد من الصين والهند شرقاً، إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً.. بل صارت أكبر قوة في العالم آنذاك.

المدارس النظامية

لم يكن نظام الملك وزيراً لامعاً ، ـ أو رئيس وزراء كما يعرف هذه الأيام ـ وحسب بل كان راعياً للعلم والأدب، ويحفل مجلسه بالعلماء والفقهاء والأدباء، بل كان هو أحد هؤلاء العلماء والفقهاء، وكان حريصاً على نشر العلم ومذهب أهل السنة الذي حاربه وحاول طمسه البويهيون والعبيديون الشيعة، فأسس نظام الملك المدارس لتلك الغاية، وعرفت بـ "المدارس النظامية".

وقد تأسس ما يمكن اعتباره "الفرع الأول" من هذه المدارس في بغداد سنة 457هـ على نهر دجلة، وانفق نظام الملك على بنائها 200 ألف دينار، وبنى حولها أوقافاً تكون وقفاً عليها، وأقام بها العديد من المرافق والخدمات لتشجيع الطلاب على الدراسة فيها.

وبعد بغداد، انتشرت هذه المدارس في نيسابور وبلخ وهراة وأصبهان والبصرة ومرو وطبرستان والموصل... وتخرج من المدارس النظامية عدد من العلماء الذين كان لهم شأن كبير بعد ذلك منهم:ابن عساكر، والعز بن عبد السلام،وابن رافع الأسدي المعروف بابن شداد.

وممن درّس في هذه المدارس أبو حامد الغزالي، والجويني المعروف بإمام الحرمين، وقطب الدين الشيرازي، وابن شداد، وابن الجوزي، والسهروردي...

وألحق نظام الملك بالمدرسة بناء خاصاً بالمكتبة،التي كانت تضم أكثر من عشرة آلاف مجلد في شتى الفنون وأبواب العلم، وشغل منصب "أمين المكتبة" فيها علماء ذوو شأن منهم أبو يوسف الإسفراييني، وأبو مظفر الإبيوردي، والخطيب التبريزي..

وفي كتاب لها عن الجويني الذي عيّنه نظام الملك مدرساً في "النظامية" تقول د. فوقية حسين محمود أن نظام الملك بفتحه هذه المدارس، والإنفاق عليها بسخاء، لم يكن يرمي إلى نشر العلوم الدينية فحسب، وإنما كان يهدف في قرارة نفسه، إلى تحقيق إصلاح جذري لأحوال البلاد المضطربة بجمع القلوب حول أمراء الدولة السلجوقية، وطبعها على الإخلاص لمذهب أهل السنة والجماعة، بعد أن كانت هذه القلوب متفرقة مزعزعة بسبب فعل الأيادي الأثيمة التي كانت ترمي إلى تحقيق مآربها الشخصية، معرّضة مصالح الناس وعقائدهم، بل وحياتهم للدمار والهلاك، فنظام الملك لم يكن سياسيّاً محنكاً فحسب، بل كان مصلحاً اجتماعيّاً أيضاً.

وإزاء ما كان يحدق بالإسلام من جميع الجوانب: الحشاشون الذين كان يزداد خطرهم، وتنتشر جرائمهم، والدولة البيزنطية التي كانت تتربص بالمسلمين الدوائر، وتؤازر الفاطميين في مصر للانقضاض على الخلافة، كان للحركة الفكرية التي قادها نظام الملك بالتوازي مع الحركة السياسية والعسكرية الدور الكبير في القضاء على الفتن، وفي استقرار الأوضاع في أنحاء العالم الإسلامي.

كتاب السياسة

وكان للوزير نظام الملك رحمه الله كتاب عظيم في السياسة وأصول الحكم، هو "سياست نامة" أي كتاب السياسة، ألفه باللغة الفارسية، وترجم إلى اللغة العربية، وطبع عدة مرات.

وقد وضع نظام الملك في كتابه هذا أفضل النظم لحكم الولايات التي تتكون منها الدولة، وتصريف الأمور، وسجل فيه أصول الحكم التي تؤدي إلى استقرار البلاد، كما ضمّنه نصائح إلى السلطان للسير بالعدل، وبين أنه لا يمكن الحفاظ على المملكة إلاّ بالعدل.

لم يكن الوزير نظام الملك شخصاً عابراً في مسيرة دولة السلاجقة، ذلك أنه رسخ أركان الدولة، وكان من عوامل الاستقرار فيها، وكانت له الجهود الكبيرة في نشر مذهب أهل السنة، ومحاربة المذاهب المنحرفة والأفكار الباطلة، لذلك فإن رجلاً فذّاً مثل نظام الملك لا بد أن تتوجه إليه سهام الغدر والمؤامرات.

وهذا ما كان على يد الشيعة الإسماعيليين من فرقة الحشاشين([1])، الذين ساءتهم سيرة نظام الملك، ومحاربته لمذهبهم المنحرف، وتسييره

---

[1] ـ الحشاشون فرقة من الشيعة الإسماعيلية، انشقت عن الفاطميين، وأسسها الحسن بن الصباح المولود في الري (طهران) سنة 430هـ. وقد تميزت هذه الطائفة باحتراف القتل والاغتيال، واحتلوا القلاع المنيعة لتدريب عناصرهم.

وكلمة الحشاشين أطلقت عليهم لإدمانهم تدخين الحشيش، وكان ابن الصباح يخدر أنصاره بالحشيش، ويوهمهم أن دخول الجنة متوقف على إطاعتهم أوامره. انظر المزيد عن هذه الجماعة: العدد 13 من الراصد ـ زاوية الفرق.

الجند لاقتحام القلاع التي استولوا عليها، فأخذ ابن الصباح يعدّ بعض أتباعه لقتل نظام الملك، ونجحت مؤامرتهم في العاشر من رمضان سنة 485هـ (1092م)، حيث كان نظام الملك في أصبهان، وبينما هو في ركب السلطان، تقدم إليه غلام من الحشاشين في صورة سائل أو مستعطٍ، فلما اقترب هذا الغلام من الوزير أخرج سكيناً كان يخفيها، وطعنه طعنات قاتلة، فقتل رحمه الله على الفور، وكان حينها في السابعة والسبعين من عمره. وأدرك أصحاب نظام الملك ذلك الصبي فقتلوه.

لقد كانت تلك الجريمة، هي أول اغتيال "سياسي" يمارسه الحشاشون ضد أهل السنة من المسلمين، لتتوالى جرائمهم بعد ذلك، وقد جاوزت المائة، من بينها محاولة اغتيال صلاح الدين الأيوبي رحمه الله بعد قتلهم نظام الملك بحوالي 90 عاماً([1]).

ولكثرة ما قام به الحشاشون من اغتيالات وجرائم، أصبحت كلمة حشاش "assassin" اسماً شائعاً في معظم اللغات الأوربية، وتعني القاتل، أو بالتحديد "الذي يقتل خلسة أو غدراً، وغالباً ما تكون ضحيته شخصية عامة، وهدفه التعصب أو الجشع".

حققت جريمة اغتيال نظام الملك للحشاشين والفرق الباطنية مكاسب كبيرة، فهي أولاً خففت الوطأة عن الحشاشين، وجعلت عساكر السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك تنصرف عن القلاع التي كانوا يستولون عليها، والأهم من ذلك أن هذه الجريمة شكلت بداية النهاية لدولة السلاجقة التي بدأت بالانهيار مع مقتل نظام الملك، خاصة وأن السلطان ملكشاه توفي بعد شهر من مقتل وزيره (أي في شوال سنة 485هـ)، ولم يستطع خلفاؤه الحفاظ على ما بناه وحققه ملكشاه ونظام الملك، وقبلهما طغرل وألب أرسلان، لتبدأ دولة السلاجقة بالانهيار.

للاستزادة:

1ـ التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية) الجزء السادس ص 231 ـ محمود شاكر.

2ـ الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية ص 323 ـ د. محمد عمارة.

3ـ موسوعة الأديان الميسرة ص 302 ـ إصدار دار النفائس.

4ـ أطلس تاريخ الإسلام ص 237 ـ د. حسين مؤنس.

5ـ تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ص 47 ـ د. محمد عبدالله عنان.

6ـ خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ص 115 ـ د.عماد عبد السميع.

7ـ إيران في ظل الإسلام ص 45 ـ د.عبد النعيم حسنين.

[1] ـ انظر محاولة اغتيال صلاح الدين: العدد الأول من الراصد ـ زاوية سطور من الذاكرة.

8ـ مواقع: إسلام أون لاين، إيلاف، الإسلام، ملتقى أهل الحديث، البوابة.

مواقف المفكرين - 15-

العلامة موسـى جـار الله

(1295ـ 1369 هـ)

هذه سلسلة من البحوث كتبها مجموعة من المفكرين والباحثين عن عقيدة وحقيقة مذهب الشيعة من خلفيات متنوعة ومتعددة ، نهدف منها بيان أن عقائد الشيعة التي تنكرها ثابتة عند كل الباحثين ، ومقصد آخر هو هدم زعم الشيعة أن السلفيين أو الوهابيين هم فقط الذين يزعمون مخالفة الشيعة للإسلام .

والشيخ موسى جار الله هو شيخ مشايخ روسيا والذي قاوم الشيوعية المجرمة حين اجتاحت بلاد المسلمين ، ولما عجز عن ذلك هرب من بلاده فمر بإيران وكتب لنا تجربته عن العقيدة الشيعية ، في كتابه الوشيعة في نقض عقائد الشيعة ، ص 24 – 37 . الراصد

في بلاد الشيعة:

جُلت في بلاد الشيعة طولا وعرضاً سبعة أشهر وزيادة، وكنت أمكث في كل عواصمها أياماً أو أسابيع، وأزور معابدها ومشاهدها ومدارسها، وأحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والمآتم، وكنت أحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها، والمدارس وحجراتها، وكنت أستمع ولا أتكلم بكلمة، وكنت أجول في شوارع العواصم وأحيائها، ودروب القرى وأزقتها، لأرى الناس في حركاتهم وسكناتهم على أحوالهم العادية وأعمالهم اليومية.

وكنت طول هذه المدة أرى أموراً منكرة لا أعرفها، ثم أستفهمها ولا أجد جوابها، وأنكر شيء رأيته في بلاد الشيعة: أني لم أر طول هذه المدة في مسجد من مساجدها جماعة صلت صلاة الجمعة يوم الجمعة، إلا في "بوشهر" في رمضان، فقد حضرت في جامع، ورأيت طائفة من الناس صلت جمعة شيعية وخطب خطيبها خطبة شيعية.

ولم أزل أتعجب إلى اليوم: كيف أمكن أن أرى مذهبيا أو اجتهاد فرد أو رأى فقيه يرسخ متمكنا في قلوب أمة حتى تجمع على ترك نصوص الكتاب تركا كأنها تجتنب الحرام.. لم أر في يوم من أيام الجمعة في مسجد من المساجد أحداً من خلق الله، ساعة الجمعة. وكنت قد أرى في سائر الأيام أفرادا أو جماعة تصلي صلاة الظهر، وتجمع صلاة العصر في مسجد من المساجد.

وكنت بكربلاء المقدسة والنجف الأشرف مرات، وأقمت بالنجف أيام المحرم، حتى رأيت كل ما تأتي به الشيعة أيام العزاء، ولهم يوم العاشوراء في الصحن حول قبر الإمام أمير المؤمنين "على" أشواط وأدوار في ألعاب رياضية يسمونها "التطبير"، وصوابها لفظا ومعنى واشتقاقا وأصلا هو "التبيير": كنت أقول كلما أراها: {إن هؤلاء مُتَبَّرٌ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون}.

وفي كل شوط من الدور كان يسقط واحد أو اثنان من المتبّرين مغشيا عليه، يحمله حملة على نعش مثل نعش الميت، فكأنه شهيد فدى الإمام الحسين بنفسه، وكل هذه التمثيلات والألعاب لو لم يكن فيها إغراء عداوة وبغضاء لكان فيها روعة، ولعجل الإمام القائم المنتظر الرجعة لو رأى فيها أثر صدق بين ملايين الشيعة.

وأول شيء سمعته، وأكره شيء أنكرته في بلاد الشيعة هو لعن الصديق والفاروق وأمهات المؤمنين: السيدة عائشة والسيدة حفصة، ولعن العصر الأول كافة في كل خطبة وفي كل حفلة ومجلس في البدء والنهاية، وفي ديابيج الكتب والرسائل، وفي أدعية الزيارات كلها، حتى في الأسقية، ما كان يسقي ساق إلا ويلعن، وما كان يشرب شارب إلا ويلعن.

وأول كل حركة وكل عمل هو الصلاة على محمد وآل محمد، واللعن على الصديق والفاروق وعثمان الذين غصبوا حق أهل البيت وظلموهم.

ولا أنكر على الشيعة في كتابي هذا إلا هذا الأمر المنكر،وهو عندهم أعرف معروف، يتلذذ به الخطيب، ويفرح عنده السامع، وترتاح إليه الجماعة، ولا ترى في مجلس أثر ارتياح إلا إذا أخذ الخطيب فيه، كأن الجماعة لا تسمع إلا إياه، أو لا تفهم غيره.

ولما وردت "طهران" زرت بعض كبار مجتهدي الشيعة، وكنت أحضر حفلات العزاء ومجالس الوعظ، وأسمع فيها بصراحة زائدة ما كنت أنكره شديد الإنكار، وكان فيها في تلك الأيام إمام مجتهدي الشيعة السيد "محسن الأمين الحسيني" العاملي ضيفا. وكان يؤم الجماعة في صلاتي المغرب والعشاء جمعًا، وكنت زرت حضرة السيد العاملي مرة بالكوفة، وجرى في تلك المرة بيننا كلام يسير. فزرته في جامع طهران مرة ثانية، وصلينا الصلاتين. ثم كتبت على ورقة صغيرة إنكاري هذا الأمر المنكر، وزدت فيها مسائل، وقدمتها بيد السيد "محسن الأمين العاملي" لمجتهدي طهران، وقلت:

1ـ أرى المساجد في بلاد الشيعة متروكة مهملة، وصلاة الجماعة فيها غير قائمة، والأوقات غير مرعية، والجمعة متروكة تماما. وأرى المشاهد

والقبور عندكم معبودة. أما المقابر فهي في أكثر بلادكم طرق للناس ومعابر، تدوسها الأنعام والكلاب وكل عابر! ما أسباب كل هذه الأمور؟

2ـ لم أر فيكم: لا بين الأولاد، ولا بين الطلبة، ولا بين العلماء من يحفظ القرآن، ولا من يقيم تلاوته، ولا من يجيد قراءته.

3ـ أرى القرآن عندكم مهجوراً.

ما سبب سقوط البلاد إلى هذا الدرك الأسفل من الهجر والإهمال؟

أليس عليكم أن تهتموا بإقامة القرآن الكريم في مكاتبكم ومدارسكم ومساجدكم؟

4ـ أرى ابتذال النساء وحرمات الإسلام في شوارع مدنكم بلغ حداً لا يمكن أن يراه الإنسان في غير بلادكم.

كتبت في الورقة هذه المسائل الأربع، في (26/8/1934) بطهران، وسلمتها للسيد "محسن الأمين العاملي". ثم لم أر حضرة السيد. وسمعت خطيبا في حفلة أتى بكلمات دلت على أن تلك الورقة تداولتها الأيدي.

بين كتب الشيعة:

عنينا عصوراً في عوالم جمة فلم نلق إلا عالماً متلاعنــا.

فإن فاتهم طعن الرماح، فمحفل ترى فيه مطعوناً عليه وطاعنا.

هنيئا لطفل أزمع السير عنهم فودع من قبل التعارف ظاعنا.

هذه حال الشيعة في نسبتها إلى الأمة، والتشيع على شكله الذي نراه اليوم في بلاد الشيعة، وكنا نراه من قبل، لم يكن في العصر الأول وعهد الخلافة الراشدة. والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، قد ألف الله بين قلوبهم، وكان كل يحب أهل البيت، ويحترم بيت النبوة. ولم يحدث التشيع والخروج إلا زمن عليّ، بدهاء معاوية وفساد الأموية، حدث من عداوة جاهلية بين أفراد أو بين بيوت. ولم يكن من الدين ولا من الإسلام في شيء. لو كان لعليّ سيرة النبي وسياسة الشيخين لما كان للتشيع من إمكان.

وميل الشيعة زمن الأموية إلى أهل البيت لم يكن عاطفة دينية. وإنما هو رغبة وأمل في ما كانوا ينتظرونه على أيدي أهل البيت، من الحكم بالعدل، ومن الاستقامة في السيرة، فكان تشيع عداوة لبني أمية وبني العباس. ولم يكن البكاء على الشهداء إلا احتيالا إلى لعن من هو يعاديه، أو مكراً ودهاء وتقية.

ودين الأمة كان أرفع من كل ذلك. ومحبة الأمة لأهل البيت كانت صادقة، لا يلعب بها غرض سياسي. ودعوى الشيعة مثل دعوى الكوفة: أولها كتب نفاق وخداع، عقباها خذلان. ثم نتيجتها إسلام المعصوم إلى أيدي أعدائه.

قد وقع في تاريخ الإسلام أمران مران، كل واحد منهما أمرّ من الآخر، لا ندري أيهما أفجع وأشد وقعا وأذهب بالدين والشرف:

1ـ قتل الإمام المحرّم عثمان في الحرم النبوي، وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرسالة المحمدية، ورئيس الأمة في الدولة الإسلامية، رابع الأمة في إقامة الدين، وثاني الأمة في المصاحف وفتوحات المؤمنين.

وأهل الثورة فئة حقيرة بطرت معيشتها فبغت وثارت بغياً وتمرداً.

وقوة الدولة هم الأنصار والمهاجرون، وعليّ على رأسهم بالمدينة، وكليمة همس من عليّ، أو إشارة لمح من صاحب ذي الفقار، تكفي في طرد الفئة الثائرة من أرض الدولة، وتكفي الإسلام الخزي والسوء بأيدي أعدائه.

أهين الإسلام، وأهينت كل حرماته بأيدي فئة باغية حقيرة، وقوة الدولة (هم الأنصار والمهاجرون) بالمدينة.

لم أجد في هذا الأمر عذرا لأحد. كلا. لا وزر ينجي من عزمات اللوم من حضر.

2ـ الثاني من الأمرين: قتل الحسين وكل من معه من أهل بيت النبوة، بقساوة فاحشة ووحشية متناهية:

تدعوه شيعة أهل البيت بآلاف من الكتب والرسائل، وعدد كثير من الوفود دعوة نفاق وخداع، ثم تسلمه لأعداء أهل البيت: إسلام خذل يخزي كل جبان، ولو كان في نهاية الضعف، ويقتله وكل من معه، ويمثل به مثلات بكل إهانة جيش الدول الإسلامية ابتغاء مرضاة مسرف مفسد ماجن.

أنا لا أكفر يزيد، لأن عمله أشنع وأفحش من كل كفر. ولا ألعنه، لأن إسلام الشيعة للحسين بعد أن دعوه، وإطاعة الجيش وقائديه أمر يزيد، ابتغاء لمرضاته أشنع وأفحش من أمر يزيد أضعاف مضاعفة، ودعوى الاضطرار في القاتل، واستحلال الفرار، وخذل الشيعة الذين دعوه له، باطلة بطلانا فقهيا وواقعيا. إذ لا اضطرار في الدم المعصوم، والذي قتل الحسين قتله بالاختيار، ابتغاء لمرضاة يزيد.

وإن قال قائل: إن الحسين قتل في حرب أثارها هو، فهذا القول يكون تبرئة ليزيد، ويكون تخطئة عظيمة للإمام الحسين عليه السلام. وأنا لا أقول بهذا القول، حتى لو قالته الشيعة. ولو قال قائل: إن الحسين قتل في حرب أثارتها الشيعة التي دعته دعوات، ثم خذلته، فهذا مثل القول الأول: تبرئة ليزيد: والذنب كل الذنب ـ على هذا القول ـ يكون على الشيعة التي خادعته، ثم خذلته وأسلمته.

يروي "الوافي" عن "الكافي" (61:2) عن الصادق: أن الوصية نزلت على محمد قبل وفاته، كتابا بخط إلهي مشاهد، وعلى الكتاب خواتيم من ذهب، دفعه النبيّ إلى عليّ. وعليّ فتح الخاتم الأول وعمل بما فيه، والحسن فتح الثاني، ومضى لما فيه. فلما فتح الحسين الثالث وجد: "قاتل، واقتل. وتقتل، وأخرج بأقوام للشهادة. لا شهادة لهم إلا معك".

ولا أرى إلا أن الشيعة لم تضع على لسان الصادق هذا الحديث إلا احتيالا إلى التخلص من خزي الخذل المخزي، ولا خلاص ولات حين مناص،

لأن خروج الإمام الحسين عليه السلام ولو كان "بكتاب من الله مختوم بذهب لاستعد له، عملا بقول الله: {يا أيها الذين آمنوا، خذوا حذركم. فانفروا ثبات أو انفروا جميعا}. ورفع الراية وحولها قوته، على حد قول الله: {وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين}. لأن الأمر الإلهي لا يكون إلا بالتأييد. وعلى حد قوله الله: {فقاتل في سبيل الله، لا تكلف إلا نفسك، وحرض المؤمنين، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا، والله أشد بأسا وأشد تنكيلا}. ولكان جواب الإمام لشيعة الكوفة: {أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم، فأعرض عنهم}. لأن شيعة العراق قد جربها أبوه {الإمام علي} وأخوه "الحسن".

وما كان الحسين لينسى قول أبيه في الشيعة: (الذليل من نصرتموه! أنتم كثير في الباحات، قليل تحت الرايات، أضرع الله خدودكم، وأتعس جدودكم، لا تعرفون الحق مثل معرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل مثل إبطالكم الحق).. ولو صح "نهج البلاغة" لكان يعلمه الحسين، وأكثر خطبه شكوى ولعنة، وهل كان يخذل علياً إلا شيعته.

ولِعلي كلمات مُرة خطابا للشيعة، وهي كلها صادقة، أخفها وأحقها ما في الصفحة (183) من المجلد الثاني لشرح ابن أبي الحديد.

قلت: إن في تاريخ الإسلام أمرين مرين، أنا لا أدري أيهما أكبر خزيا، وأشد سوءاً:

1ـ استشهاد خليفة الإسلام على أيدي فئة حقيرة باغية، وقوة الدولة الإسلامية حاضرة قوية، كانت متمكنة من دفعها، ولم تدفع ولم تدفع.

2ـ واستشهاد بيت النبوة بخيانة من شيعته، وقوة الدولة الإسلامية هي التي قتلته، وأهانته ومثلت به مثلات.

ومهما يختلق للثانية مختلق من وجه سياسي، فإن الأولى لن يجد وجها لها نفس واجد، إلا توجيهات صوفية للثانية، ذكر بعضها مؤلف كتاب: "سر الشهادتين".

وإذا لم أقتنع بها توهمت وقلت: (إنما هي فتنة جاءت من عفاريت اليهود وشياطين الفرس: لعبت بغفلة الشيعة في سبيل النيل من دين الإسلام ومن دولته). هذه أوهامي في توجيه الأمر أو الأمرين. ولا علم عندي في وجه الأمرين غير ذلك. وإن كنت قد أحطت بما كتب في الشهادتين.

وقد كشف الغطاء عن وجه الأمرين كاشف الغطاء الإمام المجتهد الشيعي النجفي "جعفر بن الشيخ خضر" في كتابه "كشف الغطاء" حيث يقول: (لا يخفى على من له أدنى خبر بأحوال السلف أن في البّين فريقين مختصمين أشد الخصومة. {هذان خصمان اختصموا في ربهم}. الآيات 19ـ 22 من سورة الحج، لا زالت الحرب بينهما قائمة، هذا علِيّ كان في زمن المشايخ جالساً في داره مشغولا بعبادة ربه، لا يولي على جانب، وخالد وكل أضرابه أقدم منه، وبقي "عليّ" على هذه الحالة إلى قيام الثالث، الذي قتله المهاجرون والأنصار، ومعظمهم من أصحاب عليّ، ليت

شعري: كيف يرضى العاقل بوثوق عليّ بإيمان عثمان ويقتل بمرأى منه ومسمع!

والعجب أنهم يستدلون ويستندون في رضا عليّ بخلافة القوم بسكوته مع أنه سيف لله، ولا يستدلون بسكوته عن قتل عثمان على رضا عليّ بقتله. سبحان الله، كيف يخفى على العاقل رضاه، وقد كان الذي قتله بيده أخص خواص عليّ، وهو محمد بن أبي بكر". "كشف الغطاء".

كشف الغطاء، هو كتاب يعتمد عليه شيعة اليوم، قد كشف كل الغطاء عن كل قلوب الشيعة، قبل أن يكشف بعض الغطاء عن بعض وجوه الحقائق، فقال: إن عثمان قتله أصحاب عليّ، باشر قتله أخصّ خواصه، بمرأى منه ومسمع، فكان قتل عثمان برضا عليّ بالبداهة. ونعجب من الذين لا يفهمون مثل هذه البداهة.

فلنا أن نقول لهذا الإمام المجتهد:

لقد كنت تخفي بغض الأصحاب خيفة   فبح الآن منها بالذي أنت بائح

وانطلق قلم الشيخ ولسانه، فأخذ يبث ما في قلبه من العلوم والعقائد، وطفق يستدل على فضل عليّ:

1ـ بحديث "لا يجوز على الصراط إلا من كان بيده جواز من ولاية علي".

2ـ بخبر نزول "لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي" في واقعة أحد.

3ـ بحديث رد الشمس عليه بعد المغرب مرة أو مرتين أو ستين مرة.

ثم جعل يقول: (لو أمعنت النظر واقتفيت الأثر لعلمت من مجموعه أنه لم يكن بعد النبي أهل للقيام بأعباء الخلافة سوى من أقامه الله لها وهو علي.

وجاهر جهاراً بلعن الصديق والفاروق، وقال: (إن عثمان كان كافراً قتله أصحاب علي برضا علي، على مرأى منه ومسمع).

فكشف بمثل هذا التحقيق كل الغطاء عن وجه الشهادتين: شهادة الإمام عثمان، وشهادة الحسين.

والإمام علي كان أعلم الناس بطبيعة العرب وأدبها، وكان يعلم تمام العلم ما بين البيت الهاشمي والبيت الأموي من العداوة التي لا حد لها وكل من كل، كان يقول:

فوالله لا تنفك منا عداوة   ولا منهم ما دام من نسلنا شفر

وكل من كل، قد أقسم على نفسه، وقال:

والله، لو بك لم أدع أحداً   إلا قتلت لفاتني الوتر

هذه كانت جمهرة أخلاق العرب في أحوالها الاجتماعية. والشيعة الشعوبية تزيد على ذلك، وتقول: "تلك القلوب كانت أغلظ من أكباد آبالها، وأقسى من صخور جبالها".

فإذا ادعت الشيعة واعترفت بكل ذلك، فهل بعد ذلك يمكن أن يقال: إن مطالبة معاوية عليا بدم عثمان كان بغياً؟ وهل بعد ذلك يمكن لوم يزيد ولعنه لأجل قتله الحسين وأهل بيته، وعثمان أشرف أموي وأسوده، ومعاوية ويزيد أحق بمطالبة دم عثمان، وأقوى أموي يستوفي حقوق بني أمية من أعدائها، ولا لوم إلا على من فتح باب الفتنة بقتل أسود أموي وأعز بني أمية بعد ما ذهب الإسلام بجذور الفتن، ولا لوم إلا على شيعة الكوفة، التي خدمت يزيد، فدعت الحسين نفاقاً، ثم باعت دينها بدنيا يزيد، فخذلت الحسين وأسلمته إلى يزيد.

لا لوم إلا على من كان يخذل عليا في حياته، وسعى في قتل أولاده بعد شهادته ومماته.

أن لا أريد أن أكذب القرآن الكريم والتوراة إذ يقولان: {رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً، يبتغون فضلا من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود}.

علي والمهاجرون والأنصار براء من دم عثمان براءة الذئب من دم يوسف، ولو تقولت الشيعة إن عليا رضي بقتل عثمان، وأمر أخص خواصه فقتل بيده عثمان، فيزيد، وفعله أكبر وأفحش وأشنع من كل كفر، له حق كل الحق في قتله الحسين بذنب أبيه. فرحم الله صاحب اللزوميات إذ يقول في الشيعة:

يقول كلاماً فوك يوجد بعده كذى نَجَسٍ يحتاج منه إلى الغسل

وفي الصفحة (17) عقد باباً لمثالب الصحابة وأهل البيت: "أمهات المؤمنين" فقال: المثالب الثابتة للقوم (يريد بالقوم: الصديق، الفاروق، وعامة الصحابة وأمهات المؤمنين) التي تأبى الإسلام فضلا عن الإيمان والعدالة، فكثيرة لا يمكن ضبطها. وقال في (19) روى البخاري في صحيحه عن نافع عن ابن عمر قال: قام النبي خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة، وقال: "الفتنة تطلع من هنا (ثلاثا) حيث يطلع قرن الشمس".

يقول روى البخاري قال: خرج النبي من بيت عائشة وقال: "رأس الكفر من هنا، من حيث يطلع قرن الشمس".

يقول كاشف الغطاء عن وجه أحاديث الأمة: إن كتب الأمة مملوءة من ذم عائشة وذم أبيها بأحاديث النبي.

هذه شواهد تدل على قدر الإيمان والأدب والأمانة لأقلام مجتهدي الشيعة، والروح في كتب الشيعة في (قديمها) وفي (جديدها) متفقة: هي العداء للعصر الأول، ولعن الصديق والفاروق، وإكفار عامة الصحابة، وأمهات المؤمنين، وعلى رأسهم عائشة وحفصة. وهذه كما قلته مرارا، هي التي لا تتحملها الأمة ولا الأدب ولا العقل ولا الدين.

إمام مجتهدي شيعة اليوم: محمد الحسين آل كاشف الغطاء، رأيته أول مرة بالقدس، ثم عرفته تمام المعرفة، إذ كنت أجالسه في المؤتمر القدسي أياما. كان يجلس عن يميني في الصف الأول، ثم بعد مدة زرته في بيته بالنجف الأشرف فأعطاني كتابه: "أصل الشيعة"،وقال: طالعه تجد فيه حقائق كثيرة. قد استحسنه علماء الغرب حتى قرظه البعض". ثم زرته مرة ثانية واقتديت به مرات في صلاة الجماعة.

ثم بعد أيام قرأت كتابه "أصل الشيعة"، والكتاب صغير يمر به الراغب في سويعات قبل أن يقوم من مقامه. وقد يطوي الله لنا طول الكتاب في عدد مجلداته وحزونته في بياناته طي المسافة وطي الزمان، فأرى المعاني مستقرة عندي قبل أن يرتد إلي طرف أفكاري. أحطت بكل ما في "أصل الشيعة" في جلسة. وقد وقفت مطي أفكاري وقفه طويلة في (21) عند قوله: "إمام الشيعة: عليّ بن أبي طالب الذي يشهد الثقلان أنه لولا سيفه ومواقفه في بدر وأحد وحنين والأحزاب ونظائرها، لما اخضر للإسلام عود، وما قام له عمود، حتى كان أقل ما قيل في ذلك

"ألا إنما الإسلام لولا حسامه كعفطة عنز أو قلامة ظافر".

وقفت مطية فكري وتفكرت: دين أنزله الله من العرش العظيم إلى سيد المرسلين وخاتم النبيين ليكون دينا للعالمين إلى يوم الدين في كتاب {لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً} كيف يقول فيه قائل له عقل: إن أقل ما يقال فيه إنه عفطة عنز، أو قلامة ظافر، أو ضرطة عنز بذي الجحفة؟!!

وهل لعلي فضل سوى أنه صحابي بين الصحابة وبطل من أبطال جيش الإسلام، لولا الإسلام لما كان لعليّ ولا لعرب الحجاز ذكر:

{هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً}.

{من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً}.

{يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد. إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد، وما ذلك على الله بعزيز}.

ومن كان له أدب، فليس من أدبه أن يمنّ على الله بشيء من عمله: {قل لا تمنوا عليّ إسلامكم، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان}.

ولو صدق قول إمام الشيعة: (لولا سيف عليّ لما اخضر للإسلام عود وما قام له عمود) لكان النبي في قوله: "أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده" كاذبا كذب كفران! ولكان قول الله جل جلاله {ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت} باطلا بطلان عدوان.

فإن كان معتزلي اعتزل دينه شبه الإسلام بضرطة أنثى المعز، فقد كان أجهل الناس بالإسلام، وأبعد الناس عن الإيمان، وشر منه قول من جعل قول المعتزل أقل ما يقال فيه: فأي شيء أقل من ضرطة العنز؟

جئ به ترفضا تشيعا حتى تكون أبلغ بليغ.

فإن كنت تخفي بغض الإسلام خيفة فبح الآن منها بالذي أنت بائح

فقل الآن: أي شيء، بعد قولك هذا، أكثر ما يقال فيه؟!

طالعت بعد مدة كتاب "الدين والإسلام" وهو كتاب جليل، كتبه مؤلف "أصل الشيعة" في سورة شبابه، ولا ينبع مثل هذا الكتاب إلا من منبع يمده علم وإيمان، لولا أن المؤلف يقول فيه: ولنأخذ على جامح القلم هنا بعنان الإمساك، فإنا نخشى أن يبث القلم من الأسرار ما لا تتحمله الأملاك ولا الأفلاك.

"يقولون حدثنا فأنت أمينها   وما أنا إن حدثتهم بأمين".

(219:1) ولا يعجبني من أحد مثل هذا العجب، فإن أكثر من يعجب هذه الدرجة من الإعجاب إذا أخذ يحدث حديثا، يأخذ يحدث حدثاً، فإن الانتحال لا يكون إلا كذلك.

وبعد أن طالعت "الدين والإسلام" تعجبت عجباً من قول مؤلفه في كتابه "أصل الشيعة": "يشهد الثقلان: إنه لولا سيف عليّ لكان أقل ما يقال في الإسلام أنه عفطة عنز أو قلامة ظافر". فإن مثل هذه الشهادة لن يؤديها أحد له عقل، وعنده شيء من الدين. فقول المؤلف فرية بهيتة على كل أحد حتى لا يقول بمثل هذه الشهادة أحد من الشيعة، ولو جاريت المؤلف في مبالغته لقلت: إن شيخ الشريعة قد تاب عن قوله في أصل الشيعة، لأن صاحب كتاب مثل "الدين والإسلام" لن يتقول أبد بمثل هذا الكلام.

وإمام الأئمة عليّ أمير المؤمنين، أول من يتبرأ من مثل هذا الكلام. وأفضل أحوال عليّ أن يكون خامس الأئمة، ورابع الصحابة،وقد جعله الله كذلك،رضي هو في حياته بذلك،وقد كان يقول: "دنياكم عندي كعفطة عنز في فلاة" ومثل هذا الكلام في مثل هذا المقام له وقع، وله بلاغة. أما انتحاله في الإسلام "لولا سيف عليّ" فلم ولن يرتكبه أحد. إذ لا شرف لعليّ وسيفه إلا بإسلامه، والإسلام في شرفه غني عن العالمين غنى الله: {منه بدأ وإليه يعود}. {ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا}.

الفاطمية

دولة التفاريح والتباريح

يشكل كتاب "الفاطمية دولة التفاريح والتباريح" لمؤلفه الأستاذ جمال بـدوي، إضـافة هامة للدراسـات الحديثة عن الدولة العبيدية الفاطمية كمّا ونوعاً.

ولعـلّ الإضـافة النوعية الـتي شـكلها هـذا الكتـاب الصـادر عن دار الشـروق بالقـاهرة سـنة 2004م تكمن في اعتبـار المؤلف أن كتابه ليس سـجلاً لتـاريخ الدولة الفاطمية الـتي حكمت مصر زهـاء قـرنين، "ولكنه محطات توقفتُ عندها وأنا أصاحب هذه الدولة من بدايتها إلى نهايتها".

ويريد المؤلف في "محطاتــه" هــذه أن ينبهنا إلى "الــدعاوى الدينية والمذهبية الـتي جـاء بها الفـاطميون على أسـنة الرمـاح، وفرضـوها على الشــعب بمقتضى حق الفتح الــذي يعطي للدولة الغالبة ســلطة تغيــير الموروث الثقافي والاجتماعي. والمؤلف هنا يشير إلى ما نشره العبيـديون الفاطميون من عقائد الشيعة الإسماعيلية في مصر السنيّة.

وعن الظـروف الـتي سـاعدت العبيـديين في احتلال مصـر، وفـرض عقيدتهم، والآثار التي ترتبت على ذلك يقول بـدوي: "وما كـان للفـاطميين أن ينجحــوا في غلبة مصر لــولا ضـعف النظــام الحـاكم، وغفلة الشـعب المحكوم، والفـراغ الـذي أتـاح للعملاء والطـابور الخـامس أن يمهد الأرض للجيش القــادم ليملأ الأرض عــدلاً بعد أن ملئت جــوراً... فـامتلأت الأرض خللاً واضطراباً وإلحاداً".

التفاريح والتباريح

ارتبط اسم الفـاطميين في مصر بالاحتفـالات والأعيـاد، فـإليهم ترجع ظاهرة الاحتفال بذكرى المولد النبـوي، والإسـراء والمعـراج، وليلة النصف من شـعبان، وعلى حد تعبـير المؤلف فـإن الفــاطميين جعلــوا من هــذه المناســبات "فرصة للتفــاريح" و"خرجــوا بها من المســجد إلى الشــارع واصطنعوا لكل مناسبة نوعاً خاصاً من الحلوى...".

لكن ما يلفت المؤلف إليه هنا إلى أن الفاطميين لم يكونوا أهل فــرح ومرح ولهو، أو دولة "تفاريح" كما يتبادر إلى الذهن، فالمعز لدين الله كـان رجل دولة من الطــراز الأول، واســتطاع تأســيس إمبراطورية مترامية الأطـراف، لكنها "جعلت من التفـاريح سـتاراً يخفي حقيقة أمرهـا، ويغطي مراميها وأهدافها البعيدة".

إن الذي أراده الفاطميون من خلال إغراق المصريين بالاحتفــالات هو أن ينصرفوا عن البحث في طبيعة النظام الجديد وأهدافه ومراميــه، خاصة وأن هذه الدولة كـانت ثمـرة دعـوة سـرية يحيط بها الغمـوض، وكـان أول حكامها عبيد الله المهـدي شخصـية غامضة اضـطربت الأقـوال في صـحة انتسابه إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

كما هدف الفاطميون إلى الظهور بمظهر المتسامح الذي لا يفرق بين مذهب ومذهب، ذلك أنهم كانوا يتبعون المذهب الشيعي الإسماعيلي، وقاموا باحتلال بلد، أهله على مذهب السنة الذي يخالفه الفاطميون ويحاربونه.

وحول فكرة التسامح والحرية الدينية التي ادّعاها الفاطميون، يعيدنا المؤلف إلى بدايات الدولة الفاطمية في مصر، حين أعلن قائد حملتهم جوهر الصقلي إلى أهل مصر بأن الحكم الجديد يلتزم بتركهم على مذهبهم، وعدم التدخل في شؤونهم الدينية، وهو ما أطلق عليه المؤلف (البيان رقم واحد)، لكنّ النظام الجديد لم يلتزم بعهوده بعد أن ثبتت أركانه، وأخذ يعمل بكل ما أوتي من قوة إلى استمالة المصريين إلى المذهب الرسمي للدولة "وعلى تغيير البنية المذهبية حتى يصبح الشعب المصري على دين ملوكه... شيعيّاً إسماعيليا باطنياً".

وبحسب المؤلف فإن الفاطميين رغم جهودهم الكبيرة والمدروسة في نشر مذهبهم، إلاّ أنها لم تثمر في الشارع المصري، وظل المصريون رغم خدمتهم في مؤسسات الدولة في موقف المستريب من فكرها وعقيدتها ومذهبها.

الأزهر.. الأثر الباقي

وفي هذه "المحطة" يتحدث الأستاذ بدوي عن الأزهر، الذي بناه العبيديون ليكون مركزاً لنشر المذهب الشيعي. "وكان الفاطميون يطمحون إلى قيام نظام سياسي ومذهبي في مصر مما يتطلب قيام مؤسسات ثقافية وإعلامية تقوم بمهمة ذيوع مذهب الدولة الرسمي وكسب القلوب حوله، وكان لابد أن يقوم الأزهر ـ الجامع ـ ليحمل مهمة الدعوة للمذهب الجديد".

وفي 6 رمضان سنة 361هـ أقيمت أول صلاة جمعة في الأزهر، بعد أن تم الانتهاء من بنائه الذي استغرق عامين، وحملت أول خطبة ألقيت على منبره تحولاً كبيراً، إذ أمر جوهر الصقلي بقطع الدعاء للخليفة العباسي، والدعاء للخليفة الفاطمي. والمعروف أن الدعاء للحاكم في خطبة الجمعة يمثل اعترافاً بشرعية الحكم.

ولم يكتفِ جوهر بذلك إنما أمر بأن يقال في الخطبة: "اللهم صلِّ على محمد المصطفى، وعلى عليّ المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وصلِّ على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين المعز لدين الله". كما أضاف جوهر إلى الأذان عبارة "حي على خير العمل".

ثم صار الأزهر أشبه بخلية نحل، تنتشر فيه الحلقات والدروس التي تروج لمذهب الإسماعيليين، والتي كان يشرف عليها ويحضرها المعز الفاطمي وكبار رجالات الدولة، وصار يفد إلى الأزهر الطلاب من مختلف أنحاء العالم.

ومع تطور الدعوة الفاطمية، في عهد الحاكم بأمر الله، الذي دعا الناس إلى تأليهه تم إنشاء (دار الحكمة) لتكون أكثر تخصصاً في إعداد

الـدعاة للمـذهب الإسـماعيلي، وكـان الطلاب يدرسـون بها بعد أن يتمـوا علومهم في الأزهر، بحيث غدت هذه الدار أشبه بكلية أو جامعة للدراسات العليا، ولا يقبل بها إلاّ من أوتي حظا كبيراً في علوم الـدعوة الجديـدة، أي تأليه الحاكم بأمر الله.

قاهرة الدنيا

وهنا يتحدث المؤلف عن ظروف إنشاء مدينة القـاهرة على يد جـوهر الصـقلي، على رغم وجـود أمـاكن كـانت صـالحة ليقيم بها الفـاطميون، كالإسـكندرية، والجـيزة، والفسـطاط، لكن إحـدى الروايـات الـتي عرضـها المؤلف تقول أن التنجيم والمنجمين لعبوا دوراً في اختيـار المكـان، بحيث لا يخرج البلد من نسل الفاطميين أبدا!!

إلا أنه يطالب القارئ بـأن لا تصـرفه مثل هـذه "الأسـاطير" عن رؤية الهدف الحقيقي من بنـاء القـاهرة، وهي "أن تكـون عشّـاً للدولة الجديـدة التي اعـتزمت البقـاء في مصر إلى الأبـد"، وبـذلك ينطلق الفـاطميون من مصر ليثبـوا نحو المشـرق الإسـلامي، وتحديـداً نحو بغـداد عاصـمة الخلافة العباسية، ولعل رغبة الفاطميين في أن تكـون مصر ركـيزة إمـبراطوريتهم في مرحلتها الثانيـة، بعد أن شـهدت المغـرب مرحلة النشـوء، تقتضي بـأن تكون لهم في مصر مدينة عسـكرية ملكية مسـتقلة عن المـدن والحواضر الإسلامية التي قامت في مصر منذ دخلها الإسلام.

وبدأ الحكـام العبيـديون يشـيدون قصـوراً لا مثيل لهـا، فقد أقيم قصر المعز على مسـاحة سـبعين فـدّاناً، وأمامه من الناحية الغربية أنشأ العزيز ابن المعز القصر الغـربي أو القصر الصـغير، وعنـدما زار الرحالة الفارسي ناصر خسرو القـاهرة سـنة 438هــ هاله منظر القصر الكبـير ووصـفه بأنه "قصر شاسع تــراه من خــارج المدينة كأنه جبل نظــراً لضــخامة مبانيه وارتفاعها، ولا يمكن أن تـراه من داخل المدينة إذ تحيط به أسـوار شـاهقة الارتفاع، ويقال إن هذا القصر يضم من الحشم إثنى عشر ألف نفس".

واتسعت القاهرة، وانتشرت فيها القصور والمبـاني الشـاهقة، وافتتن الناس بما صـنع الفـاطميون، لكن المؤلف يحـذرنا من أن "هـذا البـذخ إنما كان ستاراً لتغطية المبـادئ والأفكـار الـتي قـامت عليها الدولة الفاطميـة، وأرادت أن تصوغ حياة المصريين وفقـاً لهـذه الأيديولوجيـة، وأن تجعل من النعيم والترف وسيلة لإغراء أهل مصر على اعتناق المذهب الإسماعيلي".

كما تفنن العبيــديون بإقامة الحفلات والليــالي والأعيــاد، بحيث غــدا عصـرهم أشـبه بليـالي ألف ليلة وليلـة، لكن المصـريين بـرغم ذلك كـانوا ينظـرون إلى هـؤلاء نظـرة الـريب والشـك، لاسـيما وأنهم زعمـوا أنهم ينتسبون إلى أهل البيت دون أن يكون لـديهم ما يؤكد صـحة هـذا النسـب، كما كانوا يدّعون معرفة الغيب ومكنونات الصدور. ويروى في هـذا الصــدد أن العزيز الفاطمي صـعد يومـاً المنـبر ليخطب الجمعـة، فوجد رقعة كتب فيها:

بالظلم والجور قـد رضينا   وليس بالكفر والحماقة

إن كنتَ أعطيتَ علم غيب   فقل لنا كاتب البطـاقة

يا أهلاً بالفواطم!

وفي هـذه المحطـة، يقـرر المؤلف أن المصـريين رحّبـوا بـالجيش الفاطمي، رغم أنهم كـانوا من معارضي التيـار الشـيعي منذ أحـداث الفتنة التي وقعت بعد اغتيـال أمـير المؤمـنين عثمـان بن عفـان رضي الله عنـه، ويتساءل "كيف حدث هذا التحول الجذري"؟

ويعتـبر أن سـبب ذلك الواقع البـائس الـذي كـان يعيشه المصـريون اقتصـادياً واجتماعيـاً في ظل دولة الإخشـيديين، الـتي ضـعفت بعد وفـاة كافور، كما أن الدعوة الفاطمية تعتمد اعتماداً كبيراً على الدعاية... ولذلك بعثت إلى مصر قبل احتلالها عـددا من عيونها ودعاتها وجواسيسـها، كـانت مهمتهم أن يضعفوا الـروح المعنوية للمصـريين، ويبشـروهم بـالخلاص مما هم فيه من ضنك.

الحاكم بأمر الشيطان

وهو اللقب الـذي أطلقه المؤلف على الحـاكم الـذي ادّعى الألوهيـة، وأمعن في القتل والبطش، واتسمت سياسته بالتنـاقض الشـديد، وتسـمى باسم "الحاكم بأمر الله"، إذ لا يمكن لمن كان هذا وصفه أن يكـون حاكمـاً بأمر الله، إنما هو حاكم بأمر الشيطان.

ويعيـدنا المؤلف في بداية هـذه المحطة إلى سـنة 386 هـ (996م)، وهو العـام الـذي مـات فيه العزيز الفـاطمي، وبحسب نظـام الوراثة في العقيدة الإسماعيلية، فقد آل الحكم إلى ابنه الحاكم بأمر الله، وكـان حينها طفلاً لم يتجـاوز الحادية عشـرة من عمـره، فتـولى الوصـاية عليه أسـتاذه ومعلمه "برجـوان" مـدة 4 سـنوات، انتهت بفاجعة تمثلت بـانقلاب التلميذ ذي الأعوام الخمسة عشر على أستاذه، وقتله غيلة كي ينفرد بـالحكم دون وصاية أو إرشاد من أحد.

يقول المؤلف: "وفي رأي كثـير من المـؤرخين أن هـذا الحـادث كـان بداية تحول الحاكم بـأمر الله إلى طاغية جبـار لم يشـهد التـاريخ له نظـيراً في غرابة الأطوار، والاستهانة بالدماء".

ثم يشير بدوي إلى أن هذا العام (390هـ) شهد أيضاً حادثاً أشد هـولاً وأفدح أثراً من اغتيال برجـوان، ذلك هو عـزم الحـاكم بـأمر الله على نقل مناسك الحج إلى مصر، ونقل جسد النبي صلى الله عليه وسلم، وصـاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المدينة المنـــورة إلى القـــاهرة، وهي الحادثة التي أشار إليها الجغرافي الأندلسي أبو عبيد البكري المتوفى سـنة 487هـ. ولكن الله أحبط مسعاه وحمى رسوله وصاحبيه من عدوانهم .

ويسرد المؤلف أقـوال المـؤرخين في فسـاد عقيـدة الحـاكم وبطشه وظلمه وتعطشه للـدماء، وتناقضـه، حـتى أن جميع وزرائه قتلـوا على يديه بأبشع وسـائل القتل "وهكـذا هبت على المجتمع القـاهري ريح من الرهبة والفزع، وأصبح اسم هذا الخليفة الفتى مثار الرعب في نفوس الناس".

و بعد بيان شيء من جرائمـه، يؤكد المؤلف أن جريمة كبـيرة اقترفها هذا الحاكم تمثلت في ادعائه الألوهيـة، و "رعايته للـدعوات الإلحادية الـتي هبت على مصر من جانب دعـاة الفـرس الإسـماعيليين الـذين وجـدوا في

شخصية الحاكم واضطرابه العقلي، فرصة سانحة للكشف عن أغراضهم الخبيثة في هدم الإسلام، وصارت مصر مهداً خصباً لطائفة من الدعاة السريين".

مولد الدرزية

والإشارة إلى جريمة تأليه الحاكم من دون اللـه، أتبعها المؤلف بقصة مولد المذهب أو الدين الدرزي، الذي تمحور حول ألوهية الحاكم، وتولى كبره حمزة بن علي الزوزني، وهو الأمر الذي تحدثنا عنه في الراصد عدة مرات.

عهد المستنصر

وأطلق عليه المؤلف "بداية النهاية" إذ شكل عصر المستنصر الفاطمي نقطة تحول في تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية، والانتقال بها من عصر القوة والازدهار إلى عصر الضعف والاحتضار.

وقد آلت "الإمامة" إلى المستنصر سنة 427هـ، بعد أبيه "الظاهر"،وكان عمره سبع سنوات، فتولت الأم الحكم نيابة عن طفلها. و"كانت مصر في ذلك الوقت تعاني من الصراع الدموي بين طوائف الجند الذين جلبهم الخلفاء الفاطميون من شتى الأجناس، وجعلوا منهم قوام الجيش.... وكانت أم المستنصر تعمل على تغيير الوزراء و استبعادهم أو تقريبهم بصورة لم يسبق لها مثيل حتى بلغ عدد الوزراء الذين تولوا السلطة التنفيذية أربعة وخمسين وزيرا خلال فترة زمنية لا تزيد على ستة عشر عاما ".

المسمار الأخير: تواطؤ الفاطمية مع الصليبية

والمؤلف هنا يتحدث عن الحملة الصليبية الأولى على بلاد المسلمين في ختام القرن الحادي عشر الميلادي، ويؤكد أن تلك الحملة قذفت آخر مسمار في نعش تلك الدولة، إذ أن الفاطميون لم يكتفوا بلعب دور العاجز عن الدفاع عن أراضي المسلمين، إنما تواطأوا مع الصليبيين، وشجعوهم على التوغل في بلاد الشام، من أجل القضاء على الدولة السلجوقية السنية، بل وعقد الفاطميون والصليبيون اتفاقا بينهم لاقتسام بلاد الشام سرعان ما نقضه الصليبيون ليشقوا طريقهم نحو احتلال القدس وفلسطين.

وفي الكتاب الذي صدر في 152 صفحة، فصول أخرى قيمة عن هذه الدولة ، كنا قد تناولناها في زوايا أخرى من الراصد مثل انقسام الدعوة الإسماعيلية بعد وفاة المستنصر،ونشأة فرقة الحشاشين من رحمها، وهي التي أخذت توجه سهامها نحو علماء المسلمين وحكامهم حيث قتلوا وزير دولة السلاجقة الفذ نظام الملك، وحاولوا قتل السلطان صلاح الدين .

قالوا

لا يلدغ المؤمن...

قالوا:"(سوريا حماها الله) هذا الشعار غير المألوف ظهر مؤخراً في شوارع المدن السورية الكبرى، ذلك أن نظام الحكم السوري، المنبثق من حزب البعث والذي غالباً ما ينظر إليه بوصفه نظاماً علمانيا، لا يستخدم عادة الشعارات الدينية. ولكن الرئيس بشار الأسد يجند اليوم الشعارات الدينية لإنقاذ سلطته التي تواجه ضغوطاً مكثفة من قبل الأمم المتحدة والمجتمع الدولي".

الوطن العربي 6/1/2006

نقلاً عن تقرير لصحيفة لوفيغارو الفرنسية

قلنا: بالأمس خدع صدام حسين البسطاء عندما كتب على العلم العراقي عبارة "الله أكبر" لكن تحولاً حقيقياً نحو الدين لم يحدث في العراق. واليوم يسير بشار الأسد البعثي النصيري على خطا صدام، فيلجأ إلى العبارات الدينية في تلك الظروف، ليوهم البسطاء أيضاً أن مذهبه وحزبه ليسا ضد الإسلام.

تنظيم الزرقاوي وطهران

قالوا: "... ويقصد المراقبون بالدولة الداعمة لتنظيم الزرقاوي إيران. وهنا منبع الدهشة، خاصة أن تنظيم "القاعدة في بلاد الرافدين" معروف بعدائه الشديد للشيعة، غير أن تمكنه من اختراق مناطق حزب الله في لبنان وقيامه بهجوم صاروخي على إسرائيل لم يكن ليتم لولا ارتباطه بمحور طهران دمشق".

الوطن العربي

6/1/2006

قلنا: ليست هذه المرة الأولى التي تنزلق فيها جماعات سنيّة في أحضان تنظيمات ودول شيعية فهل ينتبه العقلاء لما يراد لأهل السنة عمله؟

حزب الله وجنبلاط..من الغادر

قالوا: "أيها اللبنانيون لو تجسد الغدر رجلاً في هذا الزمن الرديء لكان اسمه وليد جنبلاط".

بيان لحزب الله

الدستور 16/1/2006

قلنا: لم يأتِ حزب الله بجديد عندما تحدث عن غدر الزعيم الدرزي وليد جنبلاط، لكن لماذا كان الحزب يسكت عن هذا "الغدر" طيلة السنوات الماضية، هل لأن جنبلاط الآن لم يعد يدور في الفلك السوري، أم لأنه تجرأ على الحديث عن سلاح حزب الله؟.

اجتثاث البعث أم أهل السنة؟

قالوا: "ثمة ازدواجية في تطبيق قانون اجتثاث البعث... حولته من قانون لقلع واجتثاث الفكر المنحرف.. إلى أداة خبيثة بيد زعماء العراق الجديد للانتقام من أهل السنة بدعوى أنهم بعثيون،... وعلى الرغم من الإحصائيات التي تؤكد أن أكثر من 60% من البعثيين إنما هم من أهل الجنوب، ومن الشيعة تحديداً، إلاّ أننا لا نجد أن هناك من شمله القانون إلاّ عدداً قليلاً جداً مقارنة بنظرائهم من السنة".

د. رائد حموشي

الوطن العربي 6/1/2006

قلنا: ولعل القاضي الشيعي سعيد الهماشي الذي يتولى الآن محاكمة صدام حسين وأعوانه، أحد الأمثلة لسياسة غض الطرف عن الشيعة الذين انخرطوا في حزب البعث، في حين يتم الإساءة إلى أهل السنة بحجة أنهم أزلام النظام السابق.

موقف الشيعة من جماعة الإخوان المسلمين

قالوا: "الذين يعارضون الإخوان يعارضون نموذجها الفكري المقترح للدين، وليس الدين نفسه، وهم يفعلون هذا من خلال دراستهم لفكر وتاريخ جماعة تزعم أن التاريخ الأموي والعباسي والمملوكي والعثماني كان تاريخاً إسلامياً ناصع البياض".

د. أحمد النفيس

صحيفة القاهرة 27/12/2005

قلنا: أحمد النفيس، هو أحد أبرز المتشيعين في مصر، وهو مثل باقي المتشيعين دائماً ما يهاجم جماعة الإخوان المسلمين، التي لا يعرف عند قادتها وشبابها ميلاً لبيان عقائد الشيعة أو انتقادهم، لكن النفيس يعتبر الإخوان هدفاً لسهامه لمجرد أنهم من السنة، ولمجرد أنهم لا يطعنون ويسبون تاريخ الأمويين والعباسيين... التاريخ حاضر دائماً في ذهن الشيعة والمتشيعين، ونحن نحاول تغييبه.

حزب الله اللبناني أم الإيراني؟

قالوا: "فالمشكلة في لبنان، وهي عتيقة بل مزمنة، ليست في ولاء أبنائه له، أو على نحو أصح طوائفه ومذاهبه له، لأن لا وجود فيه لمواطنين بل أبناء لطوائف ومذاهب ارتقت بممارساتها إلى مرتبة الدول".

سركيس نعوم

النهار 17/1/2006

قلنا: وليس حزب الله عنّا ببعيد، فإيران وسوريا بالنسبة له أولاً وأولاً وأولاً قبل لبنان واللبنانيين.

حزب الله: نعم حارس الحدود

قالوا: "قالت مصادر أمنية إسرائيلية... أن حزب الله اللبناني يمنع في الآونة الأخيرة مجموعات من إطلاق قذائف الكاتيوشا في اتجاه المواقع الإسرائيلية، بعد أن أعلن تنظيم القاعدة أن إطلاق القذائف الأخيرة على بلدات إسرائيلية، تم بأمر مباشر من قائد تنظيم القاعدة، أسامة بن لادن".

الغد 14/1/2006

قلنا: حتماً لن يجد اليهود أفضل من حزب الله لحراسة حدودهم مع لبنان، فالحزب الذي يتحكم بالحدود يرفض أي مشاركة لأي فصيل لبناني أو فلسطيني ضد أهداف يهودية.

إسرائيل تريد الأسد ثم الأسد

قالوا: "في الصحافة الإسرائيلية ثمة ما يشبه الإجماع لدى القيادات الإسرائيلية بأن بقاء "سورية بشار الأسد" ضعيفة أفضل من الفوضى".

ياسر أبو هلالة

العد 1/1/2006

قلنا: ليست تلك المرة الأولى التي يشير فيها اليهود إلى رغبتهم ببقاء النظام النصيري البعثي بجانبهم، فقد أعلنوها مراراً ـ رغم التهييج الذي تمارسه الولايات المتحدة ضد النظام السوري ـ أنهم لن يجدوا أفضل من نظام الأسد لضبط الجبهة اللبنانية من خلال عميله حزب الله، ومنع نشاط الفصائل الفلسطينية المرابطة في لبنان وسوريا، ثم عدم إطلاق رصاصة واحدة من هضبة الجولان المحتلة.

جولة الصحافة

محمود طه.. تعاقبت الأزمنة و«الحملات» واحدة

رشيد الخيون الشرق الأوسط 8/1/2006

[سبق للراصد أن نشرت تعريف بالحزب الجمهوري في السودان وهم أصحاب الفكر القرآني في العدد 28 وهنا نجد الخيون يشيد بمؤسس هذا الحزب ، مما يشير لمحاولة إحياء هذا التيار ! الراصد]

شهد صباح مثل هذا اليوم، الثامن عشر من يناير (كانون الثاني) 1985، إعدام الشيخ السوداني محمود محمد طه، وهو ابن السادسة والسبعين، بتهمة الردة عن الإسلام، ونقل جثمانه بالطائرة إلى مكان مجهول. لم يتردد مستشار جعفر نميري الشيخ حسن الترابي في الاعتراف لإحدى الفضائيات، وهو في موقع السلطة، بدوره في الاتهام والإعدام. لكن مَنْ يقرأ كتاب الترابي «السياسة والحكم»، ويستمع لأحاديثه وتصريحاته، بعد الانقلاب عليه وسجنه، يلاحظ تغير الشيخ وتراجعه، ولم يبق ذلك الإخواني المتشدد، المتعطش للسلطة وهلاك الخصماء. وهو يعلم، قبل غيره، أن إعدام خصمه كان إجراءً سياسياً أُلبس ثوب الدين، لا يتعدى ما كان بين الإخوان المسلمين برئاسته وما بين

الإخوان الجمهوريين برئاسة القتيل. وبطبيعة الحال، لا يؤخذ بتغير الترابي وانفتاحه الجديد من دون دفع دية المسؤولية، مهما كان حجمها، ولا أراها تتعدى نطق مفردة «أعتذر»!

كان رفض الشيخ المقتول قوانين الشريعة، التي أُعلنت في سبتمبر 1983، رحمة بالشريعة والأتباع من التفريط، ومن المغامرة بالدين وتطبيق حدوده، كقانون نافذ على الناس، وسط تراكم من الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ظل الشيخ، قبل إعدامه بعشرين عاماً، يعارض محاولات تطبيق قوانين «الإيمان» بالقتل، وقطع اليد، وسلب حرية الناس. وهو يرى أن الرق ليس أصلاً في الإسلام، وتغييب النساء عن الحياة ليس من الإسلام، والإسلام جاء متدرجاً في الأديان الكتابية، كي يتعاصر مع مدارك البشر (رسالة الإسلام الثانية). أفكار وآراء قابلة للجدل والحوار، لا تستدعي تهمة الردة وعقوبة الموت، والحرمان حتى من مراسم الجنازة. وهو بمعارضته القديمة لقيام دولة دينية، حكم الردة فيها مادة من مواد الدستور، ظل هدفاً للإخوان المسلمين، فاستصدروا ضده حكماً غيابياً بالإعدام (1968) عن طريق محكمة للأحوال الشخصية، لا شأن لها بمثل هذا الحكم، مع طلاق زوجته.

لم تجد المحكمة طريقاً لتنفيذ حكمها آنذاك، فانتظر المتربصون حتى سبتمبر (أيلول) السنة 1983، عندما أُعلن تطبيق قوانين الشريعة، مع إضافة «قانون الشروع بالزنى». ويعلم الشيخ كم يتجاوز مثل هذا القانون على حكم الشريعة، الذي جاء يحمي النساء والرجال من الأفاكين. شكلت لهذه المهمة محاكم عرفت بمحاكم «العدالة الناجزة»، أو «محاكم الطوارئ». يومها عارض الشيخ علانية، ومن موقعه في الحزب الجمهوري، تلك القوانين، واعتبرها مخالفة لروح الإسلام.

قال أمام هيئة المحكمة، وهي تلوح بحكم الموت ضده: «أنا أعلنت رأيي مراراً في قوانين سبتمبر 1983 من أنها مخالفة للشريعة وللإسلام. أكثر من ذلك فإنها شوهت الشريعة، وشوهت الإسلام»، (تقرير منظمة حقوق الإنسان). وبما أن حكم الردة على الشيخ كان حكماً سياسياً لا دينياً، فقد أُلغي الحكم حال سقوط النظام، وقررت المحكمة الدستورية العليا بطلان محاكمته «واعتبار كل ما ترتب عليها لاغياً».

....

أكلت قوانين الحملات الإيمانية، لغايات سياسية مصحوبة بتعصب ديني أو مذهبي، الكثير من البشر، ومن علماء الدين وشيوخه أكثر من العوام، وما الشيخ محمود محمد طه، إلا واحدا من الألوف عبر التاريخ.

الشاعر العراقي عبد الرزاق عبد الواحد:
أنا من صابئة البطائح وهم موحدون
صحيفة الدستور 16/1/2006

[أجرت صحيفة الدستور الأردنية مقابلة مطولة مع الشاعر العراقي عبد الرزاق عبد الواحد، أبرز رموز الصابئة المعاصرين، توضح لنا جانبا من عقيدتهم وأفكارهم، وسيكون لنا تعليقات بعد الاقتباس. الراصد]

"... الكنزا العظيم (كتاب الصابئة المقدس) الصابئة يقولون بأن عمره صار ستة آلاف عام، وهو أول دين توحيدي وكان في زمن السومريين، ترجم من قبل هيئات عليا بالآراميات وسلم لي لوضعه بلغة مقدسة وكتبته بلغة عالية جداً، لكني قمت بتفريغ الكثير من القضايا التاريخية التي كانت مقحمة في النص اللاهوتي، فسئلت من قبل لجنة من علماء الدين: كيف اهتديت إلى هذه التقنية؟ قلت لهم: توضع بيضتان تحت دجاجة، تفقس إحداهما عن فرخ بط والأخرى عن فرخ دجاجة، فمن علّم فرخ البط أنه يستطيع العوم فيلقي نفسه على الفور في الماء، وفرخ الدجاجة يهرب من الماء؟ فأنا كنت كفرخ البط، وأرد بجيناتي هذا الهاجس المندائي الذي يجعلني أعرف هذا الأمر، فقمت بالعمل على هذا النص طيلة سنة وأربعة أشهر بمعدل ست ساعات يوميا على الأقل.

ميتافيزيقيا

دخلت في الميتافيزيقا وكنت لا أقرأ شيئا خلال هذه المدة الطويلة ولا أكتب، ولا أسمع الإذاعة حتى، عشت حالة اعتكاف حتى أنجزت هذا الكتاب الذي أعطي اسم كتاب هذا القرن في مهرجان الكتاب الدولي في باريس. شعرت بسعادة مذهلة وأنا أنسى كل ما حولي خوفاً على هذا المناخ النفسي الذي وضعت نفسي به، فكان اعتكافاً كاملاً لمدة سنة وأربعة أشهر إلى أن أنجزت هذا الكتاب. اكتشفت بهذا الكتاب اكتشافات عظيمة.

مثلا كنا نعرف بأن جحيم دانتي متأثر برسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وجدت أن أبا العلاء قد أخذ رسالة الغفران من الـ (كنزا ربا)، موجود تسبيح صعود الروح في المطرافة أو المطهر، والعذابات التي تواجهها الروح، ورأساً قفز إلى ذهني أن أبا العلاء المعري عاش في نفس الفترة التي عاش فيها أبو اسحق الصابئي الأديب الكبير ووزير الدولة والشاعر، وأبو العلاء المعري القارئ العظيم، وأبو اسحق كان صديقا له وللشريف الرضي، فلا بد أنه حدث أبا العلاء عنه وقرأه لهما.

الدستور: بأي لغة كتب في الأصل الكنزا ربا؟؟ وعن أي لغة ترجمته أنت؟؟

عبد الواحد: ترجم عن الآرامية، حيث أن لغته الأصلية المندائية وهي إحدى بنات الآرامية، سلمت لي الترجمة من لجنة ترجمة عليا تضم متخصصين كبار، على رأسهم الدكتور يوسف قوزي المندائي، وأنا قمت بترجمتها من المندائية إلى العربية، ووضعته بأسلوبه العربي، وتجنبت ما وقع فيه الأستاذ الكبير الذي كتب نص الكتاب المقدس (الإنجيل العربي) وهو لبناني الأصل، كتبه أول مرة على غرار القرآن، فضج عليه رجال الدين المسيحيين.

أنا اكتشفت حقيقة كبيرة في هذا، حيث قام هذا الشخص بكتابته بطريقة عادية، نثر اعتيادي، فمات النص وأصبح أي شخص عندما يقرأه لا يهتز فيه شيء، أنا وضعته بلغة مختلفة، حيث أن ثقافتي القرآنية ممتازة والسبب أني أحفظ القرآن، مثلما لاحظتم في شعري تجدون النفس القرآني في شعري كله، حتى أن آيات كاملة تأتي في نصي الشعري.

المصدر واحد

الدستور: ما نشعر به أن بين عبد الرزاق عبد الواحد وبين الدين الإسلامي سلام، والصابئة بالذات لا تشعر بأن هناك مشكلة معهم مثل أي دين آخر... ما هو السبب؟؟

عبد الواحد: عندما وضعت النص، في يوم من الأيام كان عندي في البيت مجموعة من الوزراء، وكان الدكتور سعدون حمادي بينهم، وطلبوا مني أن أقرأ نماذج من النص، فقرأت لهم بعض التسابيح، ولما استغربوا، قلت له: أستاذ حامد المصدر واحد هو الله سبحانه وتعالى، فهو صاحب النص، كان يفرق بين هذه الكتب اللغة، فالكنزا نفسها مترجمة إلى الألمانية والذي ترجمها أحد كبار علماء اللغات القديمة الألمان، حيث قال: أي شعراء عظام كانوا وراء هذه اللغة، حيث كانت كلها مكتوبة بالشعر.

فإذا آمنا أن المصدر واحد وأن الذي اختلف هو اللغة وأن كل شيء متشابه من حيث الوصايا والتعبدات، لكن هناك اتجاه مخالف ثبت لي أن القرآن والإسلام كان أنضج.

كانت الديانة المندائية في زمن السومريين، وبعدها انحصرت إلى أقصى الجنوب عندما جاء الأكاديون والبابليون وضغطوا عليهم ودفعوهم للجنوب، فاعتكفوا منذ ذلك الوقت. طبعاً عندنا في الصابئة نقول أن ما ورد في القرآن عن الصحف الإبراهيمية القديمة هي الـ (كنزا ربا) فلدينا آدم عليه السلام هو النبي الأول، ويحيى هو آخر الأنبياء.

إذا كان كل هذا التشابه بين الأديان فمعنى ذلك أن الحضارات متأثرة ببعضها ومتطورة عن بعض، أي أن الإسلام جاء وخطط للحياة الدنيا كما خطط للآخرة، لكن المندائية لا يوجد بها هذا الشيء، لا يوجد فيها شيء عن الحياة الدنيا. فقلت إن هذا التشابه ثم هذا التباين أيضاً نجد فيه أن النضج يزيد من الديانة المندائية إلى أن يصل إلى الإسلام فنرى أن

الإسلام أنضج والقرآن أنضج الكتب السماوية لأنه وضع لـ شيء عن الدنيا والآخرة.

أيضاً في هذا الكتاب تقاليد غريبة وجميلة، أنك تستطيع أن تقرأه من جهتين، الكنزا الأيمن والذي يصل في الكتاب إلى حوالي الثلثين وينتهي الكتاب ثم تقرأه من الناحية الأخرى.

الدستور: ما رأيك بالكتب التي صدرت عن الصابئة مثل كتاب محمد جزائري، أو الليدي دراودو عن الصابئة المندائيين وغيرهما من الكتب العربية والغربية؟

عبد الواحد: هناك اجتهادات كثيرة، ويخيل لي أن العرب هم الوحيدون الذي قصروا بحق تاريخهم، كانت دراسات الأوروبيين أنضج عن تاريخنا، أما نحن فقد قصرنا بتراثنا وتاريخنا، فديانة الصابئة نوعان: هناك صابئة حران وصابئة البطائح، صابئة حران لا يوجد لديهم كتاب وهم عبدة أوثان وعبدة نجوم، وهذه انسحبت على كل الصابئة للأسف، أما صابئة البطائح فلديهم كتاب، وهؤلاء عاش بينهم إبراهيم عليه السلام وهاجروا معه إلى مصر، وأسسوا هناك مملكة كبيرة وكان أشهر ملوكهم الملك أردوان، وبعد ذلك خرجوا من مصر وعادوا إلى جنوب العراق على الماء الجاري، وهذا كان مقر الصابئة حيث يجب أن يكون على الماء الجاري.

الدستور: لكن لماذا هناك حالة سلام بين الصابئة وبين الإسلام مثلا كما ورد في القرآن شيء من الثناء والاحترام لهم؟

عبد الواحد: أولاً الصابئة عاشوا بين المسلمين بعد الإسلام وخاصة في العراق، في جنوب العراق من زمن السومريين، ونحن من السومريين، فلا نقبل خطأ لأن الصابئة لا يأخذون من ديانة ولا يعطون لديانة أخرى زواجاً، والذي يخرج من عندهم يخرج من الديانة ولا يسمح له بالعودة هذا إذا تزوج من مكان آخر، حيث لا يقبلون بأن يدخل عليهم أحد. عاشوا مع المسلمين منذ أن صار الفتح وجاءت الدولة العباسية.

الصابئة يتميزون بأن ديانتهم ليست ديانة عدوانية بل مسالمة، وأيضاً تربت الصابئة في الجو الإسلامي فنجدهم غير منطوين على أنفسهم إطلاقاً، مثلاً اسمي عبد الرزاق عبد الواحد، وأساتذتي في الجامعة كانوا يعتقدون أنني شيعي، حيث اسمي اسم شيعي، عندي أولاد عمومة أسماؤهم فاضل وعباس وحسن وحسين ومحمد وهذه الأسماء أسماء مسلمة، عاداتنا جميعها عادات إسلامية. أيضاً القرآن ميز الصابئة في عدة آيات واعتبرهم من المؤمنين الحق..".

انتهت المقابلة .

الفقرات السابقة هي جزء من مقابلة أجرتها صحيفة الدستور مع الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد، المقيم حالياً في دمشق، وقد نشرنا في زاوية "فرق" في العدد الثاني والعشرين من الراصد موضوعاً مفصلا عن "الصابئة" وأشرنا فيه إلى أن عبد الرزاق عبد الواحد هو من أبرز شخصياتهم

المعاصرة، ويجدر هنا أن نتوقف قليلاً أمام ما جاء في المقابلة السابقة.

1ـ بالرغم من أن الصابئة ـ أو المندائيين كما يطلقون على أنفسهم ـ انقسموا إلى صابئة حران، وصابئة البطائح، وبالرغم من أن الأولى هي التي عبدت الكواكب والأوثان، إلاّ أن الأخرى أيضاً انحرفت عن منهج الله، ولا صحة لوصفهم بأنهم موحدون. فهم رغم اعتقادهم ـ من حيث المبدأ ـ بوجود الإله الخالق الأزلي، إلاّ أنهم يجعلون بعد هذا الإله 360 شخصاً خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، من رعد وبرق ومطر وشمس وليل ونهار، وهؤلاء يعرفون الغيب، ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار.

كما أنه لا صحة لقوله بأن دين الصابئة هو أول دين توحيدي، فقد جاء الأنبياء كلهم وأولهم آدم عليه السلام بالتوحيد قبل الصابئة بزمن كبير جدا.

2ـ كتاب الصابئة المقدس (كنزا ربا)، الذي ترجمه عبد الرزاق عبد الواحد ترجمة أدبية ليس كتاباً سماوياً، كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم.

وكتاب الكانزا ربا ليس هو صحف إبراهيم كما يزعمون، كما أن ذكر الصابئة في بعض آيات القرآن ليس دليلاً على تصحيح دينهم أو طريقتهم، فقد جاء ذكرهم في القرآن مقروناً مع اليهود والنصارى والمجوس والمشركين.

3ـ ثمة اتهامات يوجهها الصابئة أنفسهم إلى عبد الواحد بالسطو على ترجمة كان قد أعدها مجموعة من الصابئة لكتابهم، فقام بإضافة بعض الأشياء عليها، وحذف منها أشياء أخرى، ونسبها لنفسه (انظر موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر).

الراصد

الطرق الصوفية تطلب احتكار "مجالس الذكر"!

روز اليوسف ـ 14/1/2006 العدد 4049 باختصار

شيخ الطريقة الحامدية الشاذلية إبراهيم طلعت سلامة الراضي(أقام دعوى) أمام محكمة القضاء الإداري ضد وزير التضامن الاجتماعي ومحافظ الجيزة قال في دعواه: قامت جمعية المجمع الإسلامي ومسجد الحامدية الشاذلية المشهرة برقم 1414 لسنة 1999 طبقا لأحكام القانون رقم 84 لسنة 2002 بشأن قانون الجمعيات والمؤسسات الأهلية بعقد جمعية عمومية غير عادية لتعديل المادة الثالثة من لائحة النظام الأساسي وذلك وفقا للبند رقم "2" لهذه المادة وهو إضافة نشاط جديد

عبارة عن إقامة مجالس للعلم ومجالس الذكر بالمساجد العامة والاحتفالات الدينية بآل البيت وأولياء الله الصالحين.

مديرية الشئون الاجتماعية بالجيزة وافقت على هذا التعديل رغم أن هذا النشاط صوفي بحت وهو ما لا يباشر إلا طبقا لأحكام القانون رقم 118 لسنة 1976 بشأن نظام الطرق الصوفية.

قال شيخ الطريقة الحامدية في دعواه القضائية .. "تستهدف الطرق الصوفية بكافة تشكيلاتها التربية الدينية والروحية بما يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية والدعوة إلى العمل بها بالوعظ والإرشاد وتنظيم الذكر الصوفي وغير ذلك من السبل والوسائل الصوفية.

وطبقا للمادة الثالثة من نفس القانون بأن المجلس الأعلى للطرق الصوفية هيئة لها الشخصية المعنوية المستقلة ذات أغراض دينية وروحية واجتماعية وثقافية ووطنية، كما حددت المادة الرابعة اختصاص المجلس الأعلى للطرق الصوفية في الإشراف العام على النشاط الصوفي ودعمه والموافقة على إنشاء الطرق الصوفية الجديدة ومتابعة نشاط كل الطرق الصوفية أو أعضائها، وإصدار قرارات بحظر نشاط أية فئة أو جماعة أو شخص يزعم الانتساب إلى الطرق الصوفية أو يباشر نشاطا صوفيا، ولم يكن مدرجاً ضمن سجلات الطرق الصوفية أو إبداء الرأي في التشريعات المتعلقة بتنظيم الطرق الصوفية ووضع اللوائح الداخلية للمجلس الأعلى للطرق الصوفية والمشيخة الصوفية، والموافقة على تعيين وتأديب وعزل مشايخ الطرق الصوفية ووكلائها والترخيص من الناحية الدينية والصوفية بالموالد والمواكب الصوفية وتنظيمها بكافة أنحاء الجمهورية والإشراف عليها..

كما تنص المادة "4" من هذا القانون على أنه لا يجوز للسلطة الإدارية المختصة الترخيص بإقامة مولد أو بسير المواكب الجماعية للطرق الصوفية بأية جهة من جهات الجمهورية ولا التصريح بسير المواكب الصوفية لطريقة من الطرق من عواصم المحافظات إلا بعد صدور إذن بذلك من المشيخة العمومية للطرق الصوفية.

وكذلك أكد قانون الطرق الصوفية على أنه لا يجوز إقامة مجالس للذكر الصوفي بأي مسجد إلا بإذن من مشيخة الطرق الصوفية، وتتولى المشيخة العامة للطرق الصوفية الاشتراك في تنظيم الاحتفالات الدينية الرئيسية والموافقة على كيفية اشتراك الطرق الصوفية فيها وتنظيم إقامة السرادقات والندوات الصوفية وتنظيم الوعظ والإرشاد.

فضلاً عن أن اللائحة التنفيذية لقانون الطرق الصوفية تؤكد على عدم إقامة الموالد أو تسيير المواكب الصوفية ومجالس الذكر لغير أبناء الطرق التي تضمن القانون اعتبارها من الطرق الصوفية.

يقول إبراهيم سلامة الراضي شيخ الطريقة الحامدية الشاذلية:
المشرع قصر الحق في التصريح بمباشرة النشاط الصوفي والممثل في إقامة مجالس العلم ومجالس الذكر بالمساجد العامة والاحتفالات الدينية بآل البيت وأولياء الله على المجلس الأعلى للطرق الصوفية، كما قصر الحق في مباشرة هذا النشاط على الجمعيات المدرجة بسجلات الطرق

الصوفية لدى مشيخة عموم الطرق الصوفية وجمعية المجمع الإسلامي، ومسجد الحامدية الشاذلية ليس من هذه الجمعيات، وغير مدرجة بسجلات الطرق الصوفية، ولا تعد بالتالي واحدة منها، وبالتالي يمنع عليها مباشرة النشاط الصوفي ضمن أنشطتها، لهذا أقام هذه الدعوى القضائية التي يطالب فيها بإصدار حكم قضائي بإلغاء تعديل لائحة النظام الأساسي لجمعية المجمع الإسلامي ومسجد الحامدية الشاذلية بإضافة نشاط جديد هو إقامة مجالس للعلم ومجالس للذكر.

يقول الشيخ منصور الرفاعي عبيد وكيل وزارة الأوقاف الأسبق لشئون الدعوة: الذي يملك التصريح بالذكر في المسجد هو وزارة الأوقاف فقط حسب القانون، فللحصول على إقامة حلقة الذكر والحضرة لها خطوات أن يتقدم طالب إقامة الذكر بطلب إلى مشيخة الطرق الصوفية التي تخطر وزارة الأوقاف بالطلب ثم تقوم وزارة الأوقاف بإخطار جهات الاختصاص "الأمنية" لمعرفة سلوك هذا الشخص وصلاحيته من الناحية الأمنية حتى لا يكون من الخطرين، والمفروض أن لا يقام الذكر في وقت الصلاة أو قراءة القرآن ولا بدل درس الدين، ولهذا كله فليس من حق وزارة الشئون الاجتماعية أو وزارة التضامن الاجتماعي أخذ اختصاصات وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للطرق الصوفية بالسماح بإقامة حلقات للذكر.

الداعية الشيخ فكري حسن إسماعيل يقول: أنا لست مع السلبيات التي نجدها في بعض الأحيان في حلقات الذكر التي تسيء أولا لعظمة هذا الدين وجوهره وتسيء إلى المسلمين مثل المجالس التي يختلط فيها الرجال والنساء، وربما يكون البعض منهم لا يصلون، والبعض يدخنون ويفعلون أفعالا لا تتفق مع الدين، حيث إن بعضهم يتحدث مع الآخر أثناء تحركه وربما الحديث يكون بينهما في أمور تسيء إلى البعض.

«الطائفة» المظلومة !

صالح القلاب **الرأي 16/1/2006**

الطائفيون و«المتمذهبون» هم الذين يتهمون سنة لبنان بالطائفية وهم الذين يدافعون عن «القطر العربي الشقيق» ونظامه غير الطائفي، وبخاصة منذ العام 1970، يصب جام غضبهم على السنة اللبنانيين وتصويرهم على أنهم «الحسكة» الناشبة في حنجرة الأمة العربية وأنهم هم الذين يضعون نيران الفتنة تحت مرجل الطائفية في بلد يتحدث البعض عنه وكأنه لم يقم بالأساس على الطائفية وكأن الطائفية ليست هي التي صنعت الوطن اللبناني بتعدديته وبتوقه المستمر إلى الاستقلال والحرية.

ولمن لا يعرف عن لبنان سوى القشور وسوى ما يرشح من إعلام «القطر العربي الشقيق»، الغارق في الحرية والاستقلالية حتى شوشة رأسه، فإن سنة لبنان بقوا على مدى تاريخ هذا البلد الصغير الطويل هم ضمانة عروبته وهم عامل عقلنة طائفيته وهم نقطة الارتكاز ونقطة التلاقي بين طوائفه وهم الموحدون والتوحيديون والمقاومون باستمرار للنزعة الانعزالية والانفصالية.

لأن سنة لبنان يشعرون بأن عمقهم العربي يمتد من تطوان في الغرب وحتى سيف سعد في الشرق ومن لواء الاسكندرون «السليب»، والذي بحمد الله ونعمته لم يعد سليبا!!، في الشمال وحتى حي «كريتر» في عدن في الجنوب فإنهم بقوا يعتبرون أنفسهم الأكثرية.. والأكثرية كما هو معروف لا يمكن أن تكون لا إقليمية ولا طائفية ولا مذهبية بل أنها تتصرف باستمرار على أساس أنها الوعاء الأوسع الذي يجب أن يستوعب الأوعية الضيقة والصغيرة كلها.

كل الطوائف اللبنانية بقيت تخشى على نفسها، ومعها كل الحق، قبل العهد العثماني غير الميمون وبعده، وبقيت تخاف من الاستيعاب والإذابة إلا الطائفة السنية فإنها بقيت تتصرف وتعمل وتمارس السياسة على أساس أنها الأكثرية وعلى أساس أن عمقها العربي يشمل الوطن العربي كله ولهذا فإن علاقاتها الداخلية بقيت تتأثر وبحدود كبيرة بالمحاور والإستقطابات العربية بين مؤيدي الغرب الرأسمالي ومؤيدي الشرق الاشتراكي والشيوعي وبين ما كان يسمى بـ «التقدميين» وما كان يسمى بـ «الرجعيين»!!.

وكل الطوائف اللبنانية بادرت بعد الحرب الأهلية الأخيرة وعشية اندلاعها في منتصف عقد سبعينات القرن الماضي إلى تشكيل ميليشياتها وجيوشها الخاصة باستثناء الطائفة السنية فإنها بقيت باستثناء تجربة إبراهيم قليلات و«المرابطون» في شارع من شوارع بيروت الغربية بدون ميليشيا طائفية واحدة موحدة تمثل الطائفة كلها على غرار حزب الله وحركة «أمل» بالنسبة للشيعة والقوات اللبنانية بالنسبة للموارنة وقوات الحزب التقدمي الاشتراكي بالنسبة للدروز.

لقد أطلق مفتي لبنان الأسبق الشيخ حسن خالد ذلك الشعار القائل: «إن المقاومة الفلسطينية هي جيش المسلمين» ويومها كانت الساحة اللبنانية قد بدأت تتحول إلى لوحة فسيفسائية طائفية «ميليشياوية» ويومها أنفرط عقد الجيش اللبناني وأنحاز ضباطه وجنوده كل إلى ميليشيات طائفته ولقد دفعت الطائفة السنية بعد رحيل منظمة التحرير ثمنا غاليا عندما تعرضت لسلسلة اغتيالات طالت معظم قادتها ورموزها والسبب أن إضعافها وتغييبها هي والطائفة المارونية غدا شرطا من شروط الإخلال بالمعادلة الطائفية اللبنانية السابقة ولصياغة معادلة جديدة تتماشى مع زحف النفوذ الإقليمي نحو لبنان ومع التطلعات الإيرانية ـ الفارسية بعد انتصار الثورة الخمينية لنفوذ في المنطقة يتناسب مع حجمها ومع إمتداداتها المذهبية والسياسية في هذه المنطقة.

ولعل ما يجب قوله هنا هو أن رفيق الحريري الذي خرج من لبنان وتوجه إلى منطقة الخليج وهو عضو في حركة القوميين العرب، وفي الحلقة نفسها التي كان فيها الفنان الشهير ناجي العلي والقائد الفلسطيني بسام أبو شريف،لم يعد إلى بلده بعد رحلة إنجازات اقتصادية عظيمة ليلملم شتات الطائفة السنية وينصب نفسه قائدا لها وإنما عاد بالأفكار القديمة نفسها وعاد ليعزز التصاق لبنان بعمقه العربي والدليل على هذا أن مشروعه السياسي قد شمل الطوائف اللبنانية كلها وان الأكثر من خمسين ألف طالب الذين علمهم في أرقى الجامعات الغربية والذين هم الآن عماد هذا المشروع السياسي ينتمون إلى كل طوائف لبنان وبلا استثناء أي طائفة لا صغيرة ولا كبيرة.

خطة إذابة "أمل" في "حزب الله"

الوطن العربي ـ العدد 1505 ـ 6/1/2006

الأوضاع السياسية في لبنان تتطور بسرعة نحو الأسوأ. هذا ما حذرت منه مصادر سياسية مطلعة على الشأن اللبناني وعلى خفايا ما يدور في الكواليس الإقليمية. وحسب هذه المصادر، فإن مصدر الخطر هو مشروع إيراني يضم شيعة لبنان في صوت سياسي واحد وبلهجة "حزب الله" وعلى حساب التوجه السياسي المبدئي لحركة "أمل".

وفي معلومات هذه المصادر أن طهران صارت تعتبر أن الوضع اللبناني، نتيجة التطورات السلبية التي شهدها لبنان في العام 2005، يوفر الظروف المناسبة لعملية فرز طائفية ومذهبية، من شأنها منح إيران وضعاً مهيمنا في لبنان عن طريق الصوت الشيعي الموحد بين "حزب الله" و "أمل"، وبدون حاجة إلى الجسر السوري. ولذلك سعت إيران إلى دعم موقف "حزب الله" الأكثر انسجاما مع خططها على حساب حركة "أمل" التي يحتفظ رئيسها بعلاقات أقوى مع سورية، وبصداقات عربية لا يمكنه تجاهلها.

والواقع، وبحسب المصادر، فإن طهران سعت منذ البداية إلى خلق موقع قدم على الساحة اللبنانية، عندما استغلت غياب الإمام المغيب موسى الصدر، لاستنبات "حزب الله" من وسط "أمل" التي تأسست في بداياتها بدعم من حركة "فتح"ـ ثم قدمت دعماً كاملاً لـ "حزب الله" في فرض سيطرته على المناطق الشيعية في الجنوب والبقاع، على حساب "أمل" وبالقوة العسكرية أحياناً، لأن نبيه بري زعيم "أمل" ظل حريصاً على علاقاته العربية.

وعندما ضغطت طهران، لتحقيق تحالف شيعي ـ شيعي، ونظراً لطبيعة تلك المرحلة، حافظت على مواقع حركة "أمل" في النظام السياسي اللبناني، بينما ظلت السيطرة الفعلية على الأرض لـ "حزب الله" الذي يملك قوة مسلحة لا يستهان بها.

سياسية وضع اليد

غير أن مصادر تشير إلى أن الظروف تغيرت الآن، وأن طهران صارت تخشى من مغبة اعتمادها على الجسر السوري، وترى أن الضغوط الأميركية إذا ما أفلحت في تحقيق تغييرات في نظام دمشق، فإنها ستفقد ـ حكماً ـ صلة وصلها بالساحة اللبنانية، ولذلك اعتمدت استراتيجية جديدة تبلورت مع وصول الرئيس الإيراني المتشدد محمود أحمدي نجاد إلى الحكم في طهران، وتقضي هذه الاستراتيجية بوضع اليد مباشرة على الساحة الشيعية في لبنان.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، وقع خيارها منطقيا على حليفها القوي "حزب الله" الذي يتمتع الإيرانيون، والحرس الثوري تحديداً، بموقع سيطرة قوية على قوته العسكرية كما أن "حزب الله" أقرب إلى طهران لأنه يملك مشروعاً دينياً، أما نبيه بري فيملك فقط مشروعاً سياسياً وأقرب إلى العلمانية. ولكن طهران، والحديث مازال للمصادر المطلعة، لم تكن راغبة في حدوث انشقاق في الصف الشيعي إذا ما استبعدت "أمل" من خطتها، ولذلك فإنها سعت جاهدة لإدخال "أمل" في مخططها

ولكن بإحداث تغييرات في اتجاهاتها السياسية، بحيث تجعلها أكثر قرباً من "حزب الله" وبالتالي من إيران.

واستدعى تنفيذ هذه الخطة، وحسب قول المصادر نفسها، أن يتمكن "حزب الله" من اختراق حركة "أمل" عن طريق إيصال شخصيات إلى قيادتها السياسية، تنتمي فعلاً إلى الخط السياسي لـ "حزب الله". وهذا ما حصل، ووفق خطة مرحلية طويلة الأمد، وقد نجح هؤلاء في التأثير على القرار السياسي لحركة "أمل" لتصبح أكثر اقتراباً من الخط الإيراني، بعيداً عن قناعاتها العربية.

وهكذا، والكلام لنفس المصادر، حصلت عملية الفرز في لبنان على أرضية الظروف المصاحبة للتحقيق الدولي في اغتيال رفيق الحريري، وتبلور صوت شيعي واحد فرض نفسه على مسار الأحداث السياسية في لبنان.

قاعدة نفوذ جغرافية

وتضيف المصادر أن طهران غير معنية وغير مهتمة بوحدة الأراضي اللبنانية، وأن كل ما يعنيها هو أن تكون لها قاعدة نفوذ جغرافية في هذه المنطقة من الشرق الأوسط، وإذا كانت المعادلة الإيرانية تشكل خطراً على بقاء لبنان دولة متكاملة، فإن الخطر أيضاً طال حركة "أمل" للسير معها إلى نهاية الشوط، ولذلك فإنها دعمت "حزب الله" ليبدأ عملية تقليص مبرمجة لمواقع "أمل" في النظام اللبناني، وفي الإدارات اللبنانية.

وتشير هذه المصادر إلى أن "حزب الله" غير راض عن استئثار نبيه بري بتعيين أنصاره في المؤسسات اللبنانية الرئيسية ذات الكثافة الوظيفية العالية، وهي سياسة اتبعها نبيه بري للاحتفاظ بشعبيته رغم سيطرة سلاح "حزب الله".

كما تشير المصادر إلى أن "حزب الله" بدأ سراً بالمطالبة بمواقع سياسية كانت لحركة "أمل"، مثل زيادة حصته من الوزراء في أية حكومة على حساب نبيه بري. كما أن "حزب الله" يتطلع الآن لوصول نائبه محمد رعد إلى منصب رئيس مجلس النواب، وإقصاء بري نفسه عن هذا المنصب، مما يفقد حركة "أمل" الجزء الأكبر من نفوذها.

وتوضح المصادر السياسية المطلعة أن إيران تنفذ خطتها تدريجياً من خلال اللعبة السياسية اللبنانية، وصولاً إلى نقط اللاعودة والانفجار الكبير. ولهذا فإن إيران تستخدم كل أسلحتها الآن ضد الغالبية النيابية والشعبية، وتحديداً وزراء "حزب الله" و"أمل" للهجوم على تجمع 14 مارس "آذار"، ورفض أي قرار تتخذه الحكومة بالأكثرية، في قضايا ذات طابع مصيري، بحيث تخضع الأكثرية، لإرهاب الأقلية التي تمسك بورقة خطيرة هي تفجير

الأوضاع السياسية والأمنية في لبنان تماماً إذا لم تخضع الدولة اللبنانية لإرادتها.

ومن هنا فإن إيران مباشرة، أو عن طريق الجسر السوري، تحضر حالياً "انقلاباً" على الأكثرية النيابية التي أفرزتها الانتخابات النيابية الأخيرة التي أعادت رسم الخريطة السياسية في لبنان لصالح استرداد القرار الوطني والسيادة، وهو انقلاب من شأنه أن يرتهن القرار اللبناني للاستراتيجية الإيرانية مباشرة، سواء توافق ذلك مع مطامع سورية أو لم يتوافق.

خطوات التنفيذ

ويتم تنفيذ هذه الخطة مرحلياً، حسب قول المصادر السياسية، على النحو التالي:

ـ رفض الوزراء الشيعة أي حديث عن القرار 1559 والمحكمة الدولية، والمطالبة برفع مذكرة حكومية تعتبر أن هذا القرار قد تم تطبيقه، أو أن الحكومة تدعم وجود سلاح حزب الله ما دامت مزارع شبعا محتلة ومادامت إسرائيل لم تفرج بعد عن الأسرى والمعتقلين اللبنانيين في سجونها.

وقد ترجم الوزراء الشيعة هذا الرفض بتعليق عضويتهم في الحكومة، كخطوة أولى نحو الانسحاب أو الاستقالة، بحيث يتعذر تشكيل حكومة جديدة بدون ممثلين عن الطائفة الشيعية. وفي هذه الحالة تغرق البلاد في فراغ دستوري خطير، مع ما يترتب على هذا الفراغ من مضاعفات سياسية وأمنية وانقسامات داخلية قد تجر إلى تكريس أمر واقع جديد في البلاد.

ـ وإذا لم توافق الغالبية النيابية على هذا الاقتراح ـ التسوية، فإن هناك خطوة أكثر خطورة سيتم اللجوء إليها، وهي الاستقالة الجماعية للنواب الشيعة، بحيث يصبح مجلس النواب تلقائياً محلولاً وغير موجود، مما يخلق فراغاً سياسياً، ينعكس على الوضع الأمني في البلاد، وهنا تبرز مبررات تمسك "حزب الله" بسلاحه والذي دفع أطرافا مسيحية في لبنان إلى التسلح استعداداً لما هو آت.

ولكن المصادر السياسية توضح أن رئيس الوزراء فؤاد السنيورة ومعه تجمع 14 مارس "آذار"، يملك معلومات كافية عن هذه الخطة، وهو ليس في وارد السماح لإيران بتحقيق مخططها، ولذلك فإن رئيس الحكومة يهادن ويسعى إلى إخراج البلاد من هذا المأزق بأقل خسائر ممكنة، وإذا كان ينظر بقلق إلى أبعاد هذه الأزمة السياسية وخطورتها، وإلى هذه اللعبة الدائرة حالياً على الساحة اللبنانية بدعم مباشر أو غير مباشر من إيران، فإن تجمع 14 مارس "آذار" يراهن على حقيقة أن الرئيس نبيه بري لن يستطيع المضي في خطة إيران التي ينفذها "حزب الله" إلى النهاية، لأنه هو أيضاً سيكون الخاسر فيها إذ أن "حزب الله" سيسعى إلى الاستئثار بالكعكة الشيعية كلها، ولن يسمح له بحصته فيها.

سياسة الكتلة الثالثة!

الوطن العربي ـ العدد 1504ـ 30/12/2005

الترجمة السياسية للانتخابات العراقية وتشكيل حكومة جديدة، ستكون حاسمة لما سيلي من أحداث، فأي قرار للحكومات القادمة سيتخذ شكلاً تحت التأثير الأميركي، ولكن المذهبية والإثنية ستكونان أيضاً منبعي القرارات، فرغم الكلام الذي يشير إلى أن العراقيين لا يريدون نظاماً دينياً، إلا أن النتائج أعطت الأولوية للائتلاف الشيعي المتأثر بإيران، وليس للحركات العلمانية. والسؤال المطروح لم يتغير: فيدرالية أم تقسيم؟ والأميركيون هم الذين سيعطون الجواب عن هذا السؤال في المرحلة المقبلة.

ولتبسيط الأمور، فإنه إذا لم ينجح الأميركيون في الحد من التأثير الإيراني وتهدئة الأوضاع ليتمكنوا من إجراء انسحاب مرحلي لقواتهم، فإن التقسيم سيكون هو الحل، وستكون الدولة الشيعية المقبلة قد استفادت من النصائح الأمنية والعسكرية الأميركية على مدى 3 سنوات، لتسقط في أحضان إيران، ومن هنا نفهم لماذا تعم الفوضى في العراق.

واليوم مهما قلنا فإن العراق الموحد سيكون غنياً بموارده، ولكنه سيكون أيضاً غنياً بالتعددية وتنوع الثقافات التي تفتح أمامه أبواب الغرب والشرق.

وإذا ما استعاد استقراره، فإن النفوذ الإيراني سينسحب تلقائياً، ومغزى ذلك أن الدولة العراقية الموحدة والمستقرة والقوية ليست بحاجة إلى الإيرانيين، بل العكس هو الصحيح، وإذا ما كنا نفضل الحديث عما يجمعنا ونتجنب الحديث عن الطائفية والعرقية، إلا أن الأميركيين والإيرانيين يريدون من الشيعية العراقية أن تكون أداة انقسام، وليست مجموعة تساعد في بناء المنطقة العربية.

فمن الواضح اليوم أن السياسة الإيرانية تسعى للسيطرة على القرار الشيعي العراقي لتمديد تأثيرها باللغة العربية، كما أن أميركا تريد عن طريق عراق شيعي بهوية جديدة، أن تكسر التصور بكتلة إسلامية ـ عربية موحدة، وفي نفس الوقت تكسر التمدد الإيراني، ليصبح العراق الشيعي كتلة ثالثة لا عربية ولا إيرانية.

ولكن أميركا فشلت حتى الآن في هذا المخطط ولم تستطع أن تكسر الخط بين قم والنجف، بل بالعكس، تعزز هذا الخط ليصبح خطراً على سياسة واشنطن في المنطقة.

ورغم ذلك وإذا ما بقينا في موضوع دولة عراقية موحدة فإنه يجب على المسلمين أن يقبلوا بأكثرية شيعية، فهذه هي قواعد الديمقراطية، على أن تحترم الطائفة الشيعية المواقف السياسية للمسلمين، وتوقف عمليات الانتقام الشرسة والضربات المؤلمة لأبناء وطنهم.

وعلى هذا العراق الجديد أن يتقبل كل الهويات الموجودة، وبدل أن يكون مصدراً للتفرقة، يصبح مصدراً للتجمع والقوة، وهذا ليس مستحيلاً وبالطبع ليس خطأ، أليست المملكة المتحدة مكونة من إنجليز وسكوتلنديين وويلزيين وأيرلنديين، أليس في إيطاليا مناطق حكم ذاتي غير الفاتيكان، واللاندرز في ألمانيا أليسوا دليلاً على أننا كلنا ريفيون نسكن في مدن؟

وإذا كان الأكراد اليوم يبنون هوية اقتصادية قوية تمكنهم من الاستقلال، فهذه القوة يجب أن تستخدم لتقوية العراق الحالي، وفي الإطار نفسه إذا كان الشيعة يسيطرون على الأجهزة العسكرية والأمنية، فإنهم يجب أن يستخدموها لتقوية العراق وليس لتنفيذ رغبات الإيرانيين.

ومن سخرية القدر أن الأكثرية في المنطقة مسلمة، ولكنها صارت أقلية داخل دولة عربية وتعاني من اضطهاد الأقليات، ومع ذلك فإنها يجب أن تقبل بحصتها ليظل العراق عربياً وقويا.

أليس هذا الوضع بالنتيجة هو رسالة أميركية من العراق، بأننا جعلناكم أقلية، وهذا السبب وحده يدعونا لأن نحارب التقسيم ومن أجل عراق موحد.

خفايا الصفقة الانفصالية بين الشيعة والأكراد!

الوطن العربي ـ العدد 1505ـ 6/1/2006

ماذا لو كانت الانتخابات العراقية ومشاركة السُّنة فيها بكثافة مقدمة لتقسيم العراق وليس لاستعادته لوحدته "الفيدرالية" وسيادته؟! قبل أن تظهر نتائج الاقتراع رسمياً وتنكشف نتيجة المشاورات والمفاوضات العراقية والإقليمية والدولية الهادفة إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية كانت بعض التقارير الدبلوماسية والأمنية الواردة من العراق تبدي تشاؤماً لا سابق له بالنسبة لسيناريوهات الخروج من النفق والأزمة.

وكل هذه السيناريوهات تحذر من أن تكون المرحلة المقبلة ميدانيا مرحلة حرب أهلية، لا سلام، وتقسيم لا توحيد، وإعلان دويلات عراقية طائفية وإثنية مستقلة، وذلك بغض النظر عن شكل الحكومة العراقية العتيدة. ويبدو حسب هذه السيناريوهات المتشائمة أن أية حكومة مركزية ستكون عاجزة عن منع "انفصال" الدويلات الإثنية والطائفية وخصوصاً وأن رموز هذه التوجهات الانفصالية الاستقلالية هم من رموز السلطة الجديدة في العراق ومن أصحاب المخططات الانفصالية لا التوحيدية.

وكشفت مصادر مطلعة لـ "الوطن العربي" أن الأسابيع الماضية بما فيها الأيام التي شهدت المشاورات العلنية لتشكيل حكومة وحدة وطنية وخطابات إعلان النوايا الحسنة، حملت مؤشرات مثيرة للقلق عن صفقات تجري في الكواليس تهدف إلى عكس ما يعلن عنه صراحة. وفي الوقت نفسه كانت بعض المناطق العراقية وخصوصا في كردستان والجنوب تشهد تعبئة عسكرية أسهمت في تعزيز المخاوف من قرب انفجار الحرب الأهلية.

وفي معلومات هذه المصادر أن المعركة الحقيقية التي كانت محور المشاورات والمفاوضات والصفقات لم تكن معركة بغداد و "الحكومة الوطنية" بل معركة كركوك والمشروع الانفصالي، ويبدو أن ما قيل عن اتصالات شيعية كردية لإحياء التحالف بين الطرفين المسيطرين على السلطة في العراق لم تكن في واقع الأمر سوى مفاوضات تمهيدية لتقسيم العراق.

وتؤكد المصادر أن الزيارة التي قام بها رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية عبد العزيز الحكيم إلى أربيل والسليمانية في الأسبوع

الماضي بذريعة إحياء التحالف الكردي الشيعي دخلت بسرعة في صلب الموضوع وتناولت المساومة على كيفية تسريع تنفيذ المشاريع المستقبلية للطرفين الكردي والشيعي، أي إقامة دولة كردستان في الشمال ودولة شيعية في الجنوب.

ولذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون الشرط الكردي الأساسي لتفعيل التحالف بين الطرفين في حكم العراق مجددا هو استغلال حالة الإحراج التي سببها للائتلاف الموحد "الشيعي الإيراني التوجه" عودة السُّنة إلى العملية السياسية والرهان الأميركي على تحالف بينهم وبين مجموعة رئيس الحكومة السابق إياد علاوي لقطع الطريق على أية معادلة سياسية جديدة قد تقود إلى تراجع نفوذ وسيطرة جماعة ما بات يسمى بـ "اللائحة الإيرانية" في العراق أو مجموعة الحكومة الطائفية حسب بعض المسؤولين العراقيين.

وفي هذا المجال علمت "الوطن العربي" أن الطرف الكردي سجل أخيراً الإنجاز الذي كان ينتظره عندما عقد الصفقة التاريخية، مع عبد العزيز الحكيم وحصل على دعم الائتلاف الشيعي للتطبيع في كركوك.

وبعبارة أوضح أقر الطرف الشيعي بحق الأكراد في الاستيلاء على أغنى منطقة نفطية في العراق تحت ذريعة تنفيذ المادة 58 من الدستور التي تنص على تطبيع الأوضاع في كل المناطق العراقية وخصوصا كركوك.

وكان لافتا أن الحكيم اعتبر أن تفعيل هذه المادة لا يمثل مطلباً كردياً فحسب ولا تتعلق بالشعب الكردي فقط وإنما بجميع أهالي كركوك وبحدود المحافظات الأخرى. والواقع أن التوافق على هذه المادة يعني عمليا موافقة الشيعة على "كردية" مدينة كركوك وعلى عودة الأكراد إليها بعدما طردهم صدام باسم التعريب، لكنه أيضا يكشف عن توافق كردي ـ شيعي على حدود الدويلات المقبلة.

ويؤكد العارفون أن هذه الصفقة تعتبر نموذجا للتمهيد لتقسيم العراق وانفصال الأكراد والشيعة وحرص الطرفين على حسم مسألة ترسيم الحدود إذ يبدو أن الحكيم حصل بدوره على موافقة كردية لخط حدود الدويلة الشيعية في جنوب العراق.

هدية مسمومة!

وفي معلومات المصادر المطلعة أن الاهتمام الشيعي بترسيم الحدود في الجنوب وبالاحتفاظ بالتحالف مع الأكراد في الحكومة المركزية في المرحلة المقبلة التي ستشهد تكريس مخططات الانفصال باسم الفيدرالية دفعا بزعيم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية إلى التضحية بشيعة كركوك الذين ينتمون إلى فئة التركمان الذين مازالوا يصرون على اعتبار أن كركوك كانت مدينة تركمانية وليست كردية.

وعلى الرغم من أن التركمان الشيعة عُرفوا بتأييدهم لمقتدى الصدر خصم الحكيم "وشريكه في الائتلاف" إلا أن المراقبين يعتبرون أن قبول الحكيم بالتضحية بشيعة كركوك يعكس حجم الطموحات التي يملكها

للدويلة الشيعية في الجنوب وحدودها المطلوبة والتي لم يكشف عنها بعد وتحتاج إلى "رد جميل" من الجانب الكردي.

لكن مصادر أخرى تتحدث عن صفقة كركوك كهدية مسمومة وتشير إلى أن الحسم الكردي ـ الشيعي لمستقبل هذه المدينة النفطية التي يصر الأكراد على ضمها إلى دولة كردستان لا يهدف إلى إيجاد مخرج لأزمة بقدر ما يعكس رغبة مشتركة ربما في فتح مدخل للانفصال والتقسيم ولو كان على حساب حرب أهلية مدمرة.

ولا يستبعد بعض الخبراء أن يكون هدف الحرب الأهلية في مقدمة النيات الخفية التي دفعت بالحكيم إلى التنازل عن كركوك للأكراد، فرئيس المجلس الأعلى يعرف مسبقا أن تفجير قضية كركوك هو الباب الأخطر لتفجير الحرب الأهلية في العراق لكنها عمليا لن تكون حربا سُّنية ـ شيعية بل حربا سُّنية ـ سُّنية أو بالأحرى كردية ـ عربية.

وفي التقارير الواردة من كركوك أن الأكراد وفي مقدمتهم الزعيمان الرئيسيان مسعود البرزاني وجلال الطالباني قد أتموا عمليا الاستعدادات لاستعادة كركوك عسكريا، وما الاتفاق مع الحكيم إلا من قبيل التغطية والتمويه وتقديم الحل السياسي على الحل العسكري.

وميدانيا يبدو أن الأكراد في صدد إكمال سيطرتهم على المدينة حيث بلغت عمليات تهجير العراقيين العرب وإعادة تمليك الأكراد حجما كبيراً انعكس في حصول الأكراد على ستة مقاعد نيابية من أصل تسعة مخصصة للمدينة، لكن الجانب الأخطر هو في أن الاستعدادات العسكرية للسيطرة على كركوك وضمها إلى كردستان تبدو جاهزة منذ أشهر.

وتشير التقارير إلى أن الزعيمين الكرديين قد توافقا على تجنيد أكثر من 15 ألف مسلح من الميلشيا الكردية "البشمركة" في الجيش الوطني العراقي واشترطوا فرز هؤلاء على كتائب ومواقع عسكرية في كركوك ومحيطها استعداداً لاستخدامها في الحرب العسكرية المنتظرة للسيطرة على المدينة. وتقول التقارير إن ثمة خطة كردية جاهزة لاحتلال كركوك ونصف الموصل لإنجاز عملية رسم حدود الدولة الكردية "المستقلة".

ووفق هذه الخطة المبرمجة تم "توزيع" الميلشيات الكردية على كتائب وفيالق الجيش العراقي الجديد وفي مناطق الحدود المستقبلية بحيث يتسنى لهم السيطرة بسرعة على كركوك ونصف الموصل حال قرار القوات الأميركية إعادة الانتشار أو الانسحاب، أو قبل ذلك إذا ما انفجرت الأوضاع.

والمعروف أن عشرات الألوف من البشمركة الذين أرسلوا للانضمام إلى الجيش الوطني مازالوا يتلقون أوامرهم من قادتهم الأكراد وهم يصرحون علنا أن هدفهم حماية حدود كردستان وعلى استعداد للتمرد على أي قرار ترفضه القيادة الكردية والدخول في معارك دموية مع زملائهم الجنود غير الأكراد وخصوصا العرب.

ويبدو أن تركيبة القوات العراقية في شمال العراق مماثلة لتركيبة القوات العراقية في الجنوب حيث ينحصر التجنيد تقريباً في العناصر

الشيعية الموالية للأحزاب المسيطرة والانفصالية وميليشياتها، حتى إن القادة العسكريين المحليين يملكون حق الفيتو لرفض عناصر عراقية من طائفة أو إثنية مختلفة إذ أن الأكراد سبق أن رفضوا استقبال مجموعات عسكرية عربية قادمة من الجنوب.

ووفق هذه الحسابات والمخططات الكردية أو الشيعية الجنوبية وانعكاساتها الميدانية ارتفعت نسبة المحذرين من قرب انفجار الحرب الأهلية وتفكيك العراق رغم الرهانات على إعادة توحيده ولو فيدراليا. ويبدو أن معركة كركوك ستكون عنوان المرحلة الدموية المقبلة خصوصا وأن الرفض السُّني لسلخ هذه المدينة ونصف الموصل يبدو مؤكداً حتى في حال انضمام السُّنة إلى الحل الفيدرالي الذي يحرم دويلتهم من أية ثروة نفطية.

وفي انتظار التوافق على تشكيلة حكومة وحدة وطنية التي تبدو عملية معقدة جداً يعيش الخبراء هاجس دخول العراق في نفق أكثر ظلمة وخطورة انطلاقا من كركوك والموصل لإدخال العراق في مرحلة بلقنة طويلة ودموية ومرشحة للتحول إلى حرب تطهير عرقي ومذهبي شاملة.

الحاطبون لشجرة المهدي المنتظر

مشاري الذايدي   الشرق الأوسط 24/1/2006

من أكثر الرسائل «الغريبة» التي أتلقاها كل حين على بريدي الإلكتروني، رسالة من شخص غريب غامض، يتحدث بكل لباقة و«شياكة»، وكرم يتجلى من خلال تزويدي بروابط إلى مواقع أخرى. رسائله مرتبة جدا، ومزينة بصورته وهو يرتدي ملابس «كاجوال»، «هذا الحبيب» يعرّف نفسه بأنه «المهدي المنتظر»!

الرجل مقتنع جدا، ويتحـدث بكل يقين، ويكتب بكل هـدوء وبـدون تشـنج أو حماسة ملحمية، وكأنه يحدثك عن هطول أمطار على لنـدن، أو ثلـوج على كندا، أي أن عليك أن تستقبل تعريفه كمعلومة معتادة جدا.

لنتحدث بجد أكثر، هناك من يعتقد أن المهدي المنتظر على وشك الخروج، كل كما يرى شكل ومواصـفات وأولويـات هـذا المهـدي...فمهـدي الشـيعة يختلف عن مهدي السنة، وبطبيعة الحال عن مهدي الطوائف الأخرى.

من هـؤلاء المتحمسـين، ولكنهم ليسـوا، والحق يقـال، بشـياكة صـاحبنا «الكاجوال»، مولانا مقتدى الصدر، الذي اشتهر بمواقفه الساخنة، وصورته الشهيرة التي يحملها اتباعه، وهو يشير بسبابته المشدودة وعينـاه ترمقـان بحـدة واتسـاع، ومكتـوب على الصـورة بخط يـراه الأعمش: «هيهـات منا الذلة».

السـيد، الشـاب، مقتـدى الصـدر، نقلت الأنبـاء عنه أثنـاء زيارته للكـويت الأسـبوع الماضي قولـه: «القـوات الأميركية لم تـأت إلى العـراق من أجل السـنة أو الشـيعة، وإنما جـاءت وفق معتقـدات أيديولوجية يمينية غربيـة، للتصدي لخروج المهدي المنتظر من العراق».

شـخص آخـر، قـريب الصـلة بـ«سـيدنا» الصـدر، أعـني الصـلة الفكرية والذهنية، الرئيس الإيراني المتحمس، أحمدي نجاد. ففي كلمته التي ألقاها في السادس عشر من نوفمبر الماضي أمـام حشد ديـني في إيـران، قـال إن المهمة الرئيسية لحكومته تتلخص في «تمهيد الطريق للعودة المجيـدة للإمـام المهـدي». ومما يتناقله بعض الإيرانـيين، من بـاب التنـدر ربمـا، أن أحمـدي نجـاد قـام أثنـاء توليه منصـبه كمحافظ لمدينة طهـران، بإعـادة تخطيط المدينة لكي تليق بعودة الإمام.

طبعا الأمر مع احمدي نجاد، الذي يسعى الآن إلى التسلح بالحراب النووية، لا يصبح باعثا على الابتسام، بل على القلق والوجـوم. فالتـاريخ يحـدثنا أنه يمكن للمؤمـنين بأفكـار موغلة في غيبيتهـا، أن يمسـكوا بدفة التـاريخ، ويصنعوا مساره رغم أنف الواقعيـة، وأهل الواقعيـة، بل انهم هم يصـيرون أهل الواقعية، ما دام أن الواقع هو ما يتحقق فعليا!

هوس «المهدويـة»، والتنبؤ بحلـول ملحمية ولا طبيعية تتـدخل على مسـار التاريخ والسياسة، ليس حكرا على أمثـال مقتـدى الصـدر، الـذي يعتقد أن القـوات الأمريكية إنما جـاءت من اجل الحيلولة دون ظهـور المهـدي، أو احمدي نجاد الذي يعتقد انه، وبكل سياساته ووجوده أصلا، ليس إلا تمهيـدا لظهور المهدي، وان هالة من النـور كـانت تحيط به أثنـاء إلقـاء خطابه في الأمم المتحدة، وليس حكرا أيضا على المسلمين، ولهذا قصة أخرى..

وبـالعودة إلى حـديثنا، فهنـاك نمـاذج كثـيرة في الحاضر والغـابر، بعضـها محزن وقاس، وبعضها طريف ويدخل في باب النكـات، وقصصـهم وجـدت طريقها إلى كتب النـوادر تحت اسم «نـوادر المتنبـئين»، خصوصا في عهد

الخليفة العباسي «المهدي»، والذي كـان هو بـدوره أحد مـدّعي المهدويـة، حسب مخطط والـــــده الخليفة العباسي أبى جعفر المنصـــــور، من اجل إكسابه هذه الصفة الملحمية المسيطرة بسلطان التفويض الإلهي، وصــفه بـــذلك ومنحه هـــذه الخاصـــية من أجل قطع الطريق على خصـــومه من العلويين الذي يرون انهم هم معدن المهدوية.

وتقول الأخبار المروية أن مهدي آخر الزمان منهم. المفارقة أن العباسـيين إنما خرجوا في ظل عباءة شـرعية العلـويين، وثـاروا باسم «الرضا من آل محمد»، وهو الشخص الذي كان الناس يتكتلـون ضد الأمـويين حولـه، دون الإفصاح عن اسمه علانية، خوفا من بطش الأمويين وحرصا على الســرية. فلما نجحت ثورة العباسـيين، نكلـوا بـالعلويين، أضـعاف ما فعل الأمويـون، ويكفي ما صنعه المنصور في أبناء عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب، من مجازر.

هي السياسة، قاتلها الله، تتوسل بكل شيء، حتى بالنقي من المعاني، من أجل غايتها، ففكرة المهدي، بصرف النظر عن معناها المباشر أو الحـرفي، هي تعبير عن الشوق الإنساني العارم إلى العدالة.

والعبرة من هذا الحديث، أن السياسة لها شروطها، والمواعظ وأخبـار آخر الزمان لها مجالها. لأن الغيب لا يعلمه إلا الله.

والمشكلة أن كثيرا من الساسة يحاول ركوب خيل الشرعيات التي تخلقها بعض الآثـــار والنصـــوص الدينية المرويـــة، يســـتغلونها من اجل حماية شرعيتهم، والقول بأنهم تجسيد حي لإرادة الله، وانهم يتصلون بقوة علوية تجعل قدرتهم غير قابلة للمقاومة، فهي من الله مباشرة، ولـذلك فإننا نجد أغلب المتصـفين بشـيء من هـذه الصـفات الغيبية في السياسـة، هم أهل بطش ودموية أثنــاء الحكم، بل ربما يشـــعرون براحة ضـــمير داخلية لأنهم أمنـــاء على إرادة اللـــه. كما كـــان الشـــأن في الماضي مع مؤسس دولة الموحدين «الرهيب»، المهدي بن تومرت، أو غيره.

وفي الوقت المعاصر، ألصق كثير من اللاعبين في ميدان السياسة، ســواء من الذين يحكمون أو من الذين يعارضـون الـذين يحكمـون، بنفسـهم نوعا من هـذه الصـفات والسـمات الإلهية. ففي السـودان، نجد محمد بن أحمد (الشـهير بلقب المهـدي) الـذي ولد في جزيـرة "لبب" بـالقرب من مدينة دنقلا، 1844، يركب هذا المركب، أو يحمله اتباعه على هذا المركب، تحت حجة أن هناك أحاديث تبشر بخـروج المهـدي آخر الزمـان، وانه يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما. وبصرف النظر عن صـحة هـذه الآثـار من عــدمها (للأمانة أغلبية علمــاء الســنة وكل علمــاء الشــيعة يعتقــدون صحتها، ربما باستثناء عالم الاجتماع ابن خلدون الذي كان ينكر صـحة هـذه الأحاديث،من القدماء،ومن المعاصـرين الشـيخ عبد الله آل محمـود مفـتي قطر السابق، وقلة قليلة).

لكن، بصرف النظر عن الصحة من عدمها، فإن «تعيين» الأخبار الغيبية بشخص محدد يعد ضربا من التخرص، ويقود إلى كوارث بشرية ومآس إنسانية، كما حصل مع حركة جهيمان العتيبي 1979 التي احتلت الحرم المكي 15 يوما، ووقعت مصادمات حصدت عشرات القتلى، ثم أعدم هو وعدد من مجموعته، وكان من ذرائع هذه المجموعة للقيام بهذا العمل، هو أن المهدي المنتظر الذي بشر به، موجود معهم، وتحدثوا عن الرؤى والمنامات التي رؤيت في صاحبهم، إضافة لعشرات الأحاديث التي كان خطيب المجموعة يتلوها من أمام الكعبة ومن ميكروفون الحرم!

في هذا الصدد، ومن غرائب الأشياء التي وقعت في العلاقة ما بين الغيب السياسي، أو المسيس، والواقع السياسي، وما أكثره، يحدثنا التاريخ القريب في الجزيرة العربية، أن أحد الأمراء من أسرة آل رشيد، وهو أمير اتصف بالحزم والدهاء وطالت مدة حكمه، وهو الأمير محمد بن عبد الله بن رشيد ،(توفي بحدود 1897)، قد بلغ من اعتقاد البعض به أن جعلوه هو «القحطاني» الذي ورد في بعض الأخبار أنه لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه.

المهم أن هذا الأمر عرض على أحد العلماء والفقهاء، وهو الشيخ سعد بن عتيق، فنفى ذلك في حينه، وقال: «وقع البحث الذي في الصحيحين، عن حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»، فصرح بعض الحاضرين بأن القحطانيّ المذكور في هذا الحديث هو محمد بن رشيد، الذي خرج في أواخر المائة الثالثة بعد الألف من الهجرة، وعظمت شوكته وانتشرت دولته في أوائل المائة الرابعة (...) فسألني بعض الخواص هل يسوغ القول بما قاله القائل؟ وهل ينبغي الجزم به أم لا؟»، فكان مما جاء في جوابه: «اعلم أن قول القائل إنّ القحطانيّ المذكور في الحديث ، هو الرجل الذي وصفناه، لا شك أنه تعيين لمراد المعصوم ــ صلى الله عليه وسلم». ثم قال: «وأمَّا الجزم بالتعيين (...) فلا يخفى بعده عن المُعلِم المفيد عند أهل المعرفة».

وأغرب من هذا، وفي الضفة السنية من هذه الحكاية الملحمية، أنني وجدت من يتحدث عن أن «غزوات» بن لادن، أي جرائمه وتفجيراته في مشارق الأرض ومغاربها، ليست إلا تمهيدا لظهور المهدي المنتظر!

نحن إذن أمام فوضى عارمة، اختلطت فيها سيول السياسة الملوثة، بطين الطمع ووحول الجشع، بمياه الدين الزلال، الذي يجب أن يكون للناس، كل الناس، وليس لأنصار هذا المهدي المزعوم ، أو أعداء ذلك المهدي الآخر.

ترى هل نستطيع منع هذه القصة المحزنة بلوغ نهايتها، ونمنع معها بالذات، احمدي نجاد من أن يبايع المهدي على ظهر صاروخ نووي... شيء محيّر فعلا.

إيران والمكيالين

سميح المعايطة   الغد 16/1/2006

لا يمكن قراءة أحداث المنطقة والتدخلات الدولية فيها بمعزل عن مصالح إسرائيل وحساباتها المبنية على القلق والإجراء الوقائي نحو أي قوة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية يمكن أن تهدد أمن هذا الكيان الذي يؤمن انه غير مقبول وغير طبيعي في جسم المنطقة.

إيران دولة ذات حضور، ولعلها كانت الطرف الأكثر استفادة من احتلال العراق وانهيار النظام وتفكيك الدولة العراقية، فقد تخلصت من عدوها الذي كسر شوكة الثورة في بدايتها، واصبح لها نفوذ سياسي وأمني وأيديولوجي في الساحة العراقية،بل تحولت الحالة العراقية إلى ورقة إيرانية.

ولعل حكومة إيران وفي غمرة فرحها بالمكاسب أغمضت عيونها متعمدة، وعن سبق الإصرار والترصد عن أن ما يجري في العراق يحقق جزءا من المخطط الصهيوني ومصالح إسرائيل ومعادلتها الأمنية، وان تفكيك الدولة العراقية حقق أهدافا كبيرة للكيان الصهيوني، بغض النظر عن رأي أي جهة بأداء نظام صدام السياسي والديمقراطي. وتعاملت طهران مع ما يجري على حدودها من منظور مصالحها الضيقة، ورضيت بل ساندت أصدقاءها في العراق على التحالف مع الإدارة الأميركية في مسار العملية العسكرية والسياسية، بما في ذلك حلفاءها خارج العراق ومنهم حزب الله. وربما اعتقدت قيادة إيران البراغماتية أن تحالفها غير المكتوب مع واشنطن سيكون لصالح ملفها النووي، لكنها أغفلت أمرا هاما وهو أن إسرائيل وأمامها واشنطن لا تقبل إعطاء أي فرصة لأي طرف لامتلاك ما يبعث القلق الإسرائيلي.

وحسابات إيران الخاطئة جعلتها تنسى أن إسرائيل الحاضر الغائب في كل الملفات، لكنها تذكرت هذا عندما ضيقت أوروبا وواشنطن الخناق على الدبلوماسية الإيرانية. ولهذا مارس الرئيس احمد نجادي قصفا سياسيا تجاه اصل البلاء في تل أبيب وتحدث عن المحرقة وإزالة إسرائيل وترحيل اليهود. وهي تصريحات تعبر عن إحباط من "عدم وفاء واشنطن" لما قدمته لها طهران، وهي صيغة من الحوار الغاضب والقاسي مع الطرف الأهم في معادلة السياسة الأمريكية وهو الكيان الصهيوني. لكن هذه

الذاكرة الإيرانية التي نسيت إسـرائيل، في معادلة احتلال العـراق وإسـباغ الشـرعية على الاحتلال، وتـذكرتها في الموضـوع الإيـراني لا تعـبر عن براغماتية مفرطة فقـط، بل عن حسـابات خاطئة ومغرقة في السـطحية. فإسرائيل التي حرضت وسـاهمت في المجيء بـالجيوش إلى العـراق هي ذاتها التي لا تريد لإيران أن تمتلك أسلحة تهدد أمتها، ولا تريد حـتى للثقافة العربية أن تربي الأجيال على حقيقة الصراع.

إيـران خلال حـرب احتلال العـراق تعـاملت بمنطق المصـالح، لكن عنـدما اشـتد الخنـاق عليها عـادت تتحـدث بلغة عقائدية وباعتبارها دولة ثـورة إسلامية، ووقف الرئيس الإيراني يخـاطب الأمة بلغة الثـوار والراديكـاليين، لكن ذاكـرة المرحلة والأحـداث لا يمكن أن تقبل إيـران، وفق التصـنيفات التي ترشحها قيادة الثورة، فمنطق الأمة والخطاب الإسلامى والحديث عن الخطر الإسرائيلي كان يجب أن تمارسه إيـران في حـرب احتلال العـراق. لكن ما فعلته يفقد خطابها الثوري قيمته ومصداقيته حـتى وان تحـدث عن حقيقة الخطر الإسرائيلي وتحريض تل أبيب للدول الكبرى في الملفات.

إسـرائيل الـتي تحـرض على إيـران اليـوم، هي ذاتها الـتي حرضت على العـراق، وأميركا الـتي تضـيق الخنـاق على إيـران دبلوماسـيا هي الـتي أغمضت إيران عيونها عنها وقـدمت لها خدمة كبـيرة بأسـاليب مختلفة في العراق. بأي منطق تريد طهران من الأمة أن توافق على أميركا وإسرائيل التي دمرت دولة عربية إسـلامية ودنست أرضـها، وتقف ضد هـذا التحـالف عندما تكون إيران هي الهدف؟!

السياسة بمعناها البراغمـاتي، البعيد عن القيم والمبـادئ، يمكن أن تفهم من أي نظـام إلا من أنظمة تمـارس الخطـاب الثـوري والـديني وتنصب نفسها عاصمة للحق، أو دولة تقـدم نفسـها عنوانا للقومية والعروبة وتقفز إلى حضن قوات التحـالف بقيـادة أميركا في مواجهة شـعب عـربي عنـدما تكون مصالحها في هذا القفز العلني.

إيران كسبت الكثير مما جرى في العراق، لكنها خسرت الكثير من صورتها التي حاولت رسمها لنفسها كعاصمة ثورية عقائدية، وحساباتها التي فرحت بها سـابقا لن تجلب لها النفع والمـردود ذاته في مواجهة التضـييق الـدولي على ملفها النووي.

لا يمكن لأي عربي أو مسلم أن يقبل بأي استهداف لأي جزء من أمته، لكنه لن يقبل أبدا أن يكون ضحية قفز الأنظمة من معسكر إلى آخر. فإيران التي فضلت مصالحها في حرب العراق لا يمكن أن تطلب من الشعوب أن تكون جزءا من أوراق الحرس الثوري، وساحات جماهير طهران، باستثناء حلفائها في لبنان أو داخل إطار العمل الفلسطيني.

رؤية أحمد نجاد الدينية والسياسية

كينيث ر. تيمرمان الغد 29/12/2006

مع اقتراب جولة جديدة من المفاوضات بشأن برنامج إيران النووي، لا نستطيع أن نغفل الأهمية المؤكدة للتعرف على رئيس إيران الجديد محمود أحمدي نجاد وفهم أبعاد شخصيته على نحو واضح. وربما كان أفضل مكان نبدأ منه يتمثل في اللحظة التي لمح فيها العالم لأول مرة شخصية أحمدي نجاد وبرنامجه المتشدد.

حين خاطب الرئيس أحمدي نجاد الأمم المتحدة في نيويورك في شهر سبتمبر الماضي، شعر على نحو مفاجئ أنه محاط بالنور. وطبقاً لتعبيره فلم تكن أنوار المسرح، بل كان نورا من السماء. لقد روى أحمدي نجاد خبرته الأخروية هذه في لقاء مسجل على شريط فيديو جمعه بواحد من آيات الله البارزين في طهران. ولقد نشر أحد المواقع المتشددة المؤيدة للنظام (baztab.com) نص تعليقاته ومقاطع من شريط الفيديو.

وطبقاً للنص فقد قال أحمدي نجاد إن أحد الأعضاء من حاشيته المصاحبة له في اجتماع الأمم المتحدة هو الذي نبهه أولاً لذلك الضوء، حيث قال له: "حين بدأت بعبارة "بسم الله" أبصرت نوراً قادماً، ثم أحاط بك وحماك حتى نهاية كلمتك". ولقد أكد أحمدي نجاد شعوره بحضرة مماثلة، حيث ذكر في حديثه إلى آية الله جافادي آمولي: "لقد شعرت أنا أيضاً بذلك، حتى أن جو المكان تغير فجأة، ولمدة 27 أو 28 دقيقة ظل زعماء العالم شاخصة أبصارهم وآذانهم صاغية لتلقي رسالة الجمهورية الإسلامية".

ربما كان بوسعنا أن نصرف النظر عن "الرؤيا" التي تنزلت على أحمدي نجاد في الأمم المتحدة باعتبارها موقفاً سياسياً لولا سلسلة من التصريحات والتصرفات المماثلة التي توحي باعتقاده الفعلي بأن القدر اختاره شخصياً لجلب نهاية العالم من خلال تمهيد الطريق لعودة المهدي المنتظر الذي يؤمن به الشيعة من المسلمين. وإذا ما علمنا أن إيران مستمرة في مساعيها الرامية إلى تنفيذ برنامجها النووي المثير للشبهات، والذي قد يقرب الجمهورية الإسلامية إلى حد خطير من تصنيع السلاح النووي، فلابد وأن يكون مثل هذا الزعيم ذي الرؤى المهدية مثاراً للقلق والانزعاج. وفي النهاية، فهو نفس الرجل الذي تعهد مؤخراً باستخدام قوة إيران الجديدة في "محو إسرائيل من على الخريطة" و"تدمير أميركا".

في كلمته التي ألقاها في السادس عشر من نوفمبر على كبار رجال الدين الذين حضروا إلى طهران من كل أنحاء إيران للاستماع إليه، قال الرئيس الجديد إن المهمة الرئيسية لحكومته تتلخص في "تمهيد الطريق للعودة المجيدة للإمام المهدي (الذي نسأل الله أن يعجل بعودته)". كان الإمام الثاني عشر لطائفة الشيعة قد اختفى وهو طفل في عام 941، ولقد ظل الشيعة في انتظار عودته إلى الظهور منذ ذلك الوقت، على

اعتقـاد منهم بأنه حين يعـود سـيحكم الأرض لسـبعة أعـوام قبل أن تقـوم القيامة وينتهي العالم.

ومن أجل الإعداد لظهور المهدي من جديد يقـول أحمـدي نجـاد: "يتعين على إيران أن تتحول إلى مجتمع إسلامي قوي ومتقـدم ونمـوذجي. ويتعين على الإيرانيين أن يمتنعـوا عن الركـون إلى أي مدرسة غربية من مـدارس الفكر، وأن يعزفوا عن الحياة المرفهة والأشكال الأخرى من الإسراف".

بعد مـرور ثلاثة أشـهر من تـولي أحمـدي نجـاد منصب الرئاسـة، أصـبحت وجهـات نظـره بشـأن الإمـام الثـاني عشر محل نقـاش واسع النطـاق في طهران. وتقول إحدى الشـائعات إن أحمـدي نجـاد قـام أثنـاء توليه منصـبه كمحافظ لمدينة طهران بإعادة تخطيط المدينة لكي تليق بعودة الإمام.

في الأسابيع الأخيرة، نفى معاونو أحمدي نجـاد شـائعة أخـرى تقـول إنه أمر أعضاء مجلس وزرائه بتدوين عهد ولاء مع الإمـام الثـاني عشر وإلقائه إلى قعر بـئر ميـاه بـالقرب من مدينة "قم" المقدسـة، حيث يظن بعض الشيعة أن الأمام يختبئ هناك. ولقد أشار أولئك الذين صدقوا الشائعة إلى قرار سابق صادر عن مجلس الوزراء بتخصـيص 17 مليـون دولار أمـيركي لتجديد مسجد جامكران حيث ظل الأتبـاع المتعصـبون للإمـام الثـاني عشر يُـصَـلّون لقرون.

وعلى نحو مماثـل، ذكـرت التقـارير الـتي أوردتها المنافذ الإعلامية الحكومية في طهران، عن لسان أحمدي نجاد أنه أبلغ مسؤولي النظام أن الإمـام المختـبئ سـوف يعـود إلى الظهـور خلال عـامين. ولقد كـان ذلك التصريح أكثر من طاقة احتمال المشرع الإيراني أكبر علامي، الذي شـكك علناً في رأي أحمدي نجاد قائلاً: "حتى أكثر الشخصـيات الإسـلامية قداسة لم تتجرأ قط على التلفظ بمثل هذه المزاعم".

بينما يبجل العديد من الشـيعة المسـلمين الإمـام الثـاني عشـر، هنـاك جمعية كـانت سـرية فيما سـبق، مؤلفة من رجـال دين من ذوي النفـوذ، تتقـدم الآن وعلى نحو علـني بالنصـيحة إلى الـرئيس الجديـد، وتعمل على تحويل هذه المعتقدات إلى سياسة حكومية. والحقيقة أن جمعية "حجـتي" تحت زعامة آية الله مصـباح يـازدي الـذي كثـيراً ما يظهر بصـحبة أحمـدي نجاد، ينظر إليها العديد من أهل الشيعة باعتبارها جماعة متطرفة مجنونـة. وأثنـاء السـنوات الأولى من الثـورة الإسـلامية، حـتى آية الله رحمة الله خميني كان قد اعتبر أن معتقدات أهل هـذه الجماعة مغرقة في التطـرف فأمر بإبعادهم، ليعملوا كحركة سرية تحت الأرض.

وكبقية الأتباع المخلصين المتعصبين للإمام الثاني عشـر، يـؤمن أعضـاء جمعية "حجـتي" بـأن الإمـام لن يظهر إلا في أعقـاب بلية أو محنة كـبرى. وهذا الاعتقاد قريب من بعض النواحي من مبدأ لينين الذي يؤكد أن تفـاقم أوضاع وأحوال المجتمع سوءاً من شأنه أن يعجل بقيام الثورة، حيث يعتقد

أعضـــاء تلك الجماعة أن عـــودة المهـــدي لن تكـــون إلا من خلال العنف المتصاعد والصراع والقمع.

ومنذ توليه منصب الرئاسة في أغسطس الماضي، بادر أحمدي نجاد إلى تعيين أتبـاع جمعية "حجـتي" في مجلس وزرائه وفي كل مكـان من إدارته البيروقراطية. والآن نرى وزارة الإعلام والأمن التي كـان الـرئيس السـابق محمد خاتمي يتعمد تهميش دورها إلى حد كبير، وقد عادت إلى البروز من جديد باعتبارها قـوة قمعية عاتيـة، تسـتخدم عملاء يرتـدون ملابس عاديـة، فتحـالفت مع "الباسـيج" في البرلمـان ومع جماعـات أمنية غـير حكوميـة، بهدف اتخاذ إجراءات حاسمة ضد أي معارضة محتملة للنظام.

مع استعداد العالم لمواجهة ذلك النظام الإيراني الذي يصر على تحدي الهيئة الدولية للطاقة الذرية فيما يتصل ببرنامجه النووي، يتعين علينا أن ننصت إلى كل ما يتلفظ به قادة إيران بينما نراقب أفعالهم. ذلك أن هذه التركيبة المؤلفة من متعصب ديني وأسلحة نووية لهي في الواقع تركيبة خطيرة لا يسع العالم أن يتساهل معها.

مسارات غامضة في العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية

د. محمد السعيد إدريس مختارات إيرانية العدد 65ـ ديسمبر 2005

من الصعب تصور مسار واحد للعلاقات الإيرانية ـ الأمريكية على شكل إما تعاون أو صراع، لكن التطورات الأخيرة المتسارعة في هذه العلاقات تؤكد حقيقة المسارات وأحياناً اختلاطها وتقاطعها لدرجة شديدة الإرباك لكل من يريد أن يقوم بفرز هذه المسارات عن بعضها البعض في محاولة لفهم الحقيقة والإجابة على السؤال المهم: إلى أين تتجه العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية؟

فالعلاقات وفقاً للمنظور التقليدي الظاهري للأحداث هي علاقات صراعية بين واشنطن وطهران منذ سقوط نظام الشاه عام 1979 وتأسيس الجمهورية الإسلامية، حيث حدث تحول كامل من التحالف إلى الصراع مباشرة بين البلدين، وامتدت تداعيات هذا التحول إلى علاقات الدول العربية الخليجية، وربما بعض الدول العربية غير الخليجية مع إيران، فبعد الانخراط في سياسة تعاون أقرب إلى التحالف بين الدول العربية الخليجية الست، أو أغلبها وإيران في عهد الشاه، تحول التعاون إلى عداوة

عبرت عن نفسها بوضوح في انخراط معظم هذه الدول في دعم العراق في حربه مع إيران، بعد أن أصبحت إيران الإسلامية خطراً أيديولوجياً يهدد شرعية النظم الحاكمة في هذه الدول ويفوق بكثير الخطر الأيديولوجي البعثي العراقي الذي كان يتهدد هذه الدول وبالذات الشرعية السياسية للنظم الحاكمة.

هذا يعني أن القدر الكبير من الغموض الذي يكتنف العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية هذه الأيام يربك العواصم العربية الخليجية التي زاد توجسها في الأشهر الأخيرة من تنامي النفوذ السياسي الإيراني في العراق، والصعود الكبير للشيعة العراقيين الذي ستمتد أصداؤه حتماً إلى داخل مجتمعات هذه الدول بما يؤثر على خريطة التوازنات السياسية القائمة، ناهيك عن أثر هذا كله على توازن القوى الإقليمي في الخليج خصوصاً في ظل تنامي القوة العسكرية الإيرانية والنفوذ السياسي الإيراني، وفي ظل ضبابية كل من الدورين الأمريكي والعراقي مع تواتر الحديث عن انسحابات أمريكية محتملة من العراق.

لقد تزايد غموض بعض التطورات التي تحدث في الإقليم سواء في العراق أو في إيران، وانعكس هذا الغموض بوضوح شديد على العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية.

أول وأبرز هذه التطورات بالطبع هو تزايد حدة الضغوط الأمريكية الداخلية المطالبة بانسحاب القوات الأمريكية من العراق، والموقف الأمريكي الرسمي الغامض من احتمال تحقيق هذا الانسحاب بين القبول والرفض.

أما **التطور الثاني**، فهو زيادة حدة الانتقادات الإيرانية لإسرائيل وخاصة على لسان الرئيس محمود أحمدي نجاد.

فيما يتمثل **التطور الثالث** في الإعلان الذي جاء على لسان زلماي خليل زاد السفير الأمريكي في بغداد بأن الرئيس الأمريكي جورج بوش فوضه لبدء حوار دبلوماسي مع إيران بخصوص العراق، وقال خليل زاد الذي أشرف على مفاوضات السلام الخاصة بأفغانستان، وتولى منصب السفير الأمريكي في كابول بعدها: "لقد حصلت على تفويض من الرئيس للتعامل مع الإيرانيين كما تعاملت معهم في أفغانستان بشكل مباشر".

هذه التطورات الثلاث التي تدفع بالعلاقات الإيرانية ـ الأمريكية في اتجاهات متناقضة تزامنت مع وجود حالة ارتباك أوروبية ـ أمريكية في التعامل مع الملف النووي الإيراني، بين تصعيد وتهدئة توحي بأن حسم هذا الملف كان مرهوناً بحسم ملفات أخرى وربما المقايضة بملفات أخرى على رأسها بالطبع الملف العراقي.

ربما يكون الوضع الأمريكي المتأزم في العراق هو المتغير الأهم والمحرك للتطورات الأخرى. فهذا الوضع انعكس بقوة على الرئيس الأمريكي وشعبيته التي تدنت إلى مستويات غير مسبوقة في ظل تزايد الضغوط داخل الكونجرس وعلى المستوى الإعلامي مطالبة بانسحاب القوات الأمريكية من العراق.

فبينما انخفضت نسب استطلاعات الرأي الخاصة بالرئيس بوش إلى مستويات لم يشهدها أحد الرؤساء منذ إدارة نيكسون في أوائل السبعينيات، أصبح الديمقراطيون أعنف هجوماً على السياسة الأمريكية في العراق مطالبين بإحداث تحول كبير في هذه السياسة نحو الواقعية في وقت أصبح فيه كثير من الجمهوريين أكثر قبولاً لهذه الدعوة، على نحو ما حدث عندما صوتت أغلبية من أعضاء مجلس الشيوخ من الجمهوريين والديمقراطيين مطالبة الإدارة بتقديم تقارير منتظمة حول إمكانيات سحب أعداد كبيرة من القوات عام 2006، وحول التقدم في تدريب القوات العراقية لتحل محل القوات الأمريكية.

الأهم من هذا أن بعض التقارير باتت تتحدث عن قيام وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) بإعداد خطط من أجل البدء بسحب أعداد كبيرة من بين القوات الأمريكية البالغ عددها حوالي 160 ألف جندي لتصبح 140 ألفاً عقب انتخابات هذا الشهر التي تجري في العراق، ثم لتصبح 115 ألفا تقريباً بحلول يوليو، ثم حوالي 100 ألف أو أقل بحلول انتخابات الكونجرس النصفية في نوفمبر 2006.

وعلى العكس من هذا الاتجاه، خرج الرئيس الأمريكي ومن بعده وزير دفاعه دونالد رامسفيلد للتنديد بالضغوط التي تطالب بوضع جدول زمني لانسحاب القوات الأمريكية من العراق سواء كانت أمريكية أو عراقية، حسب ما اتفق عليه في مؤتمر الوفاق الوطني الذي عقد في القاهرة بوساطة الجامعة العربية ومشاركة ممثلين لكافة الأحزاب والقوى العراقية.

فقد حذر الرئيس بوش من أي انسحاب سريع للقوات الأمريكية من العراق، واعتبر أنه سيكون خطأً جسيماً، مشيراً إلى أن ذلك سيشكل رسالة خاطئة إلى الجيش الأمريكي وإلى العراقيين وإلى من وصفهم بالأعداء. وقال بوش خلال تفقده لمنطقة الحدود مع المكسيك أن "الاستراتيجية الأمريكية في العراق تقوم على قرارات القيادة العسكرية على الأرض وغير مبنية على اعتبارات سياسية"، أما دونالد رامسفيلد وزير الدفاع فقد اعتبر أن أي انسحاب أمريكي مبكر من العراق سيكون دعوة إلى مزيد مما سماه بـ "العنف الإرهابي".

للوهلة الأولى يبدو التناقض بارزاً في الموقف الأمريكي الخاص بانسحاب القوات الأمريكية من العراق، لكن التعمق في قراءة تصريحات الرئيس وأركان إدارته يكشف عن إقرار بالأمر مع حرص على إيجاد مخرج مشرف للأمريكيين يجعل من الانسحاب انتصاراً مع حرص آخر على تأمين المصالح الأمريكية في العراق بعد الانسحاب منه.

هنا بالتحديد تتضح معالم المبادرة الأمريكية نحو إيران المتمثلة في الزيارة المنتظرة التي سيقوم بها زلماي خليل زاد إلى طهران، الذي وصف قرار هذه الزيارة بأنه جزء من استراتيجية أعم، وألح عليها طويلاً الواقعيون مثل برنيت سكوكروفت مستشار بوش الأب للأمن القومي، وبعض الديمقراطيين من بينهم المتحدث الرفيع باسم السياسة الخارجية للحزب الديمقراطي السيناتور جوزيف بادن، لاجتذاب تعاون جيران بغداد

في إحداث استقرار في العراق بشكل كافٍ من أجل السماح بتخفيض مستوى وجود القوات الأمريكية بشكل كبير.

هذا التوجه لابد أن يكون له ثمنه الذي يجب أن تدفعه واشنطن لإيران سواء في العراق أو على صعيد البرنامج النووي الإيراني، والأهم على صعيد العلاقات الثنائية، لذلك أسرع المتحدث بلسان الخارجية الأمريكية شون ماكورماك ووصف التفويض الذي منحه الرئيس جورج بوش لخليل زاد بأنه "تفويض محدود جداً" يقتصر على المسائل المتعلقة بالعراق، كما كان حريصاً على أن يؤكد أن هذه الاتصالات لن يكون لها تأثير على العلاقات الثنائية مع إيران.

هل هذا الحرص مرجعه التخوف من حدوث انهيارات سياسية في الموقف الأمريكي في العراق وفي العلاقات الأمريكية مع دول الخليج العربية؟، أم أنه محاولة لاستيعاب ضغوط فريق المحافظين الجدد أصدقاء إسرائيل الذين هالهم هذا التوجه وخطره على المصالح الإسرائيلية في وقت بدت فيه إيران أكثر تشدداً وعلى لسان رئيسها الجديد أحمدي نجاد الذي دعا مرة إلى إزالة دولة إسرائيل في احتفالات يوم القدس أمام مؤتمر "عالم بدون صهيونية"، ودعا مرة أخرى في مؤتمر القمة الإسلامي في مكة المكرمة إلى نقل إسرائيل إلى مقاطعات في ألمانيا والنمسا لحل المشكلة اليهودية بعيداً عن الشعب الفلسطيني؟

البعض يرى أن هذه التصريحات جاءت للتغطية على "تطورات ما" مهمة تحدث على صعيد العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية، في ظل معلومات تؤكد أن علي لاريجاني أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني التقى مع دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي في العراق خلال زيارة مؤخرة قام بها رامسفيلد للعراق.

ورغم أن الحرص الرسمي الإيراني على نفي وجود أي نية الآن لفتح حوار مع الولايات المتحدة يزيد من غموض الموقف، إلا أنه لا ينفي حقيقة تصاعد الأزمة الإسرائيلية ـ الإيرانية في ظل معلومات تقول أن أريئيل شارون رئيس الحكومة الإسرائيلية أصدر أوامره للقوات الإسرائيلية بأن تكون على استعداد لتوجيه ضربة محتملة لمنشآت تخصيب اليورانيوم الإيرانية في نهاية مارس المقبل.

وكشفت صحيفة "صنداي تايمز" البريطانية على موقعها الإلكتروني أن أوامر شارون جاءت في أعقاب تحذير من الاستخبارات الإسرائيلية بأن إيران بدأت بالفعل تخصيب اليورانيوم في منشآت سرية وسط مواقع مدنية.

هل يمكن أن تشن إسرائيل هجوماً على المنشآت النووية الإيرانية في وقت تحرص فيه الولايات المتحدة على التقارب مع إيران؟

السؤال مهم لأنه يفتح أبواب الحديث عن الدور الإسرائيلي الإقليمي في مواجهة الدور الإيراني الإقليمي، لكن المعضلة تبقى في حقيقة الموقف الأمريكي من احتمالات مثل هذه المواجهة.

إيران دولة نووية !

صالح القلاب الرأي 17/1/2006

يثبت «المعممون» الإيرانيون بأنهم لاعبون ماهرون فقد بقوا ينقلون بيادقهم على رقعة الشطرنج، في هذه المنطقة المتأرجحة، فيكرون ويفرون ويتقدمون ويتراجعون ويستخدمون «التقية» استخداما بارعا إلى أن أوصلوا مشروعهم النووي إلى نقطة لا عودة عنها وبالتأكيد فإنهم سيستمرون بمناوراتهم البارعة إلى أن يضعوا العالم أمام أمر واقع لا يوجد خيار أمامه إلا القبول به.

لقد ساهمت إيران في استدراج الأميركيين إلى العراق استدراجا، وهذا ما فعله صدام حسين نفسه لكن بسياسة هوجاء وعمياء وبأفق محدود، وبالنتيجة فإنها، أي إيران، قد استطاعت اصطياد عصفورين بحجر واحد، العصفور الأول هو العراق الذي بقيت تحلم بإضعافه وتمزيقه لتحقيق التطلعات التي لم يستطع تحقيقها حتى ملك الصفويين الكبير نادر شاه والعصفور الثاني هو الولايات المتحدة التي جرى استيعابها في أوحال دجلة والفرات وغدت غير قادرة على أكثر من التنديد بالمشروع النووي الإيراني.

في البداية وعندما بدأت إيران مشروعها النووي وضعت في وجه العالم، وفي وجه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي على وجه التحديد، رجلا جذابا جميل الهندام حسن المظهر معسول الكلام يكاد يذوب اعتدالا ومرونة ثم عندما قطعت أكثر من منتصف الطريق وغدت مخططاتها النووية في مأمن بادرت إلى استبدال محمد خاتمي بشاب مندفع يقول ما في صدر مرشد الثورة علي خامنئي على رؤوس الأشهاد وبدون لا دبلوماسية ولا «تقية».. و«لتذهب الولايات المتحدة إلى الجحيم»!!

لم يعد هناك مجال للقيل والقال فقد أصبحت إيران دولة نووية بينما المعارضون، في الإقليم والعالم، يتفرجون وهم مستسلمون للإحباط واليأس وقلة الحيلة ولعل ما يؤكد هذا الشلل، الذي لم يعد موضع نقاش، أن الإيرانيين ماضون في مشروعهم الذي أقترب من نهاياته بينما لا تجد الولايات المتحدة ما تهدد به سوى مجلس الأمن العاجز بدوره عن فعل أي شيء وبينما لا يجد الاتحاد الأوروبي إلا وضع يده على خده.. و «إن الله مع الصابرين»!!.

لن يردع أي قرار يصدره مجلس الأمن، ويضمنه مقاطعة وعقوبات اقتصادية، الإيرانيين عن استكمال مشروعهم، الذي حتما وبالتأكيد سيفاجئ العالم بأسلحة نووية تضع هذا البلد في مصاف الدول العظمى، فإيران ليست إحدى جمهوريات الموز حتى ترتدع وتتراجع عن مشروعها بمجرد التلويح لها بعقوبات دولية فعوائدها اليومية من النفط تتجاوز ال 360 مليون دولار وهي تحتل رقعة جغرافية في غاية الأهمية تمتد من بحر قزوين وحتى أطراف شواطئ بحر العرب وشعبها الذي يزيد عن السبعين

مليونا ينتمي إلى العرق الآري المعروف بعنـاده وبنزعته القتالية وبالاعتـداد بالنفس.
وهنا ربما يسأل سائل عما إذا كـان العـرب سيخسـرون أم سـيربحون في حال استكمال إيران لمشـروعها النـووي الـذي لن يكـون سـلميا بالنتيجـة، والجـواب هو أن المشـكلة لا تكمن في العـرب، الـذين على الشـواطئ الغربية للخليج والذين على شـواطئ الأطلسي في الغـرب، إنها تكمن في النزعة التوسـعية الإيرانية وفي تطلعـات بعض آيـات الله الـذين يلبسـون الأحلام الصفوية النائمة عباءة الفقيه ولي الله على الأرض ويرفعون شـعار «الثـورة الدائمـة» الـذي كـان رفعه ليـون تروتسـكي بعد انتصـار الثـورة البلشفية التي أرادها ألا تتوقف إلا بعد اجتيـاح العـالم كله لكنه فشل فشلا ذريعا وانتهى مقتولا على يد واحد من جلاوزة ستالين الرهيب.
إنه من حق العرب، الذين فرحوا فرحا بلا حدود لتحـول باكسـتان إلى دولة نووية غدت قادرة على مواجهة العملاق الهندي الذي يستعرض عضلاته في وجهها كل يوم، أن يخشوا المشـروع الإيـراني فـإيران حـتى بلا أسـلحة لم تتوقف لا في زمن الشاه السـابق ولا في زمن ثـورة الخميـني اللاحقة عن التـدخل في الشـؤون العربية الداخلية وهي إي إيـران ورغم اسـتخدامها «تشادور» التقية ببراعة وإتقان إلا أنها لم تستطع إخفاء تطلعاتها الصـفوية تجـاه المنطقة كلها من «صـرواح» في اليمن وحـتى «بوابة فاطمـة» في الجنوب اللبناني!!.

تفاصيل أخطر صفقة سرية بين دمشق وطهران

الوطن العربي ـ العدد 1504ـ 30/12/2005

... في معلومات "الوطن العربي" أن الفصول الأخيرة لهذه المواجهة (في المنطقة) قد وضعت خلال شهر نوفمبر "تشرين الثاني" الماضي عبر ما بات يعتبر أخطر لقاءات سرية شهدتها كل من دمشق وواشنطن.

وفي الوقت الذي كانت العاصمة الأميركية تشهد لقاءات عسكرية إسرائيلية ـ أميركية في إطار ما يسمى الحوار الاستراتيجي بين البلدين، كانت العاصمة السورية تشهد توقيع أخطر اتفاق سري في مشروع "التحالف الاستراتيجي" بين طهران ودمشق، وبينما كان كبار الجنرالات الإسرائيليين يناقشون مع حلفائهم الأميركيين الإضافات الأخيرة لمخطط مواجهة البرنامج النووي الإيراني كانت دمشق تستقبل وزير خارجية طهران منوشهر متقى يرافقه وفد عسكري وأمني رفيع لم يعلن عنه للتوقيع على خطة التعاون والدفاع المشترك لمواجهة مرحلة العزل والحصار المتوقعة من قبل المجتمع الدولي وحتى الحسم العسكري المنتظر من واشنطن وتل أبيب.

وكشف تقرير سري لجهاز استخبارات غربي رافق منذ أشهر المفاوضات والزيارات السرية المتبادلة بين كبار المسؤولين السوريين والإيرانيين لإعداد خطة مواجهة مشتركة، أن طهران ودمشق توافقتا على اعتبار أن النظامين مستهدفان في المرحلة المقبلة بالعقوبات الدولية الاقتصادية والسياسية وأن هذه العقوبات تدخل في إطار مخطط سري لشن حرب عسكرية على البلدين لتغيير نظاميهما، وبالتالي تم توقيع اتفاقية سرية للتعاون الكامل العسكري والاقتصادي والسياسي.

والتفاصيل التي تسربت عن هذه الاتفاقية التي اعتبرت أكبر عملية توسيع لاتفاقية التحالف الاستراتيجي التي اعتمدت منذ حوالي سنة من المفاوضات تكشف عن تعهد طهران بدعم سورية في كل المجالات والضغط على حلفائها في العراق ولبنان وفلسطين "حماس والجهاد" بالتزام الدفاع عن الموقف السوري.

ـ تقديم سلة دعم مالي واقتصادي لسورية لمواجهة الحصار والعقوبات، تشمل في شكل خاص وضع ثلاثة مليارات دولار كوديعة في المصارف السورية وتزويد سورية بكميات من النفط الإيراني مجانا.

ـ مساعدة سورية عسكرياً عبر تزويدها بأنظمة رادار وأسلحة إيرانية متطورة من بينها صاروخ شهاب3، وتقديم دعم تقني إيراني لمساعدة دمشق على تطوير أسلحة الدمار الشامل والصواريخ البالستية الكورية الشمالية التي نجحت طهران في تطويرها وخصوصاً صاروخ سكود سي.

ـ مساعدة دمشق على إنتاج رؤوس كيماوية لتزويد صواريخها بها.

ـ إرسال خبراء إيرانيين في صنع الصواريخ وتشغيلها إلى دمشق.

ـ مساعدة حماس والجهاد على إعداد عمليات انتحارية واسعة داخل إسرائيل، وزيادة تسليح حزب الله وتزويده بصواريخ أكثر تطوراً ومتوسطة المدى ورفع جهوزية الحزب لفتح حرب شاملة على الحدود الإسرائيلية ـ اللبنانية.

ـ التزام سورية بتخزين أسلحة ومعدات من البرنامج النووي الإيراني في أراضيها حرصاً على حمايتها ووضعها في مأمن أمام احتمال فرض عقوبات أو تفتيش أو حتى حصول حرب على إيران.

ـ تعهد طهران بتقديم اللجوء لكل المسؤولين والضباط السوريين الذين قد يسعى مجلس الأمن إلى المطالبة بتوقيفهم أو تسليمهم، والاستعداد لاستقبال زعماء حماس والجهاد في حال اختارت دمشق طردهم لتفادي العقوبات، ووجدت استحالة لاستقبالهم في المناطق اللبنانية الخاضعة لسيطرة حزب الله.

ـ إنشاء شركات مشتركة لخرق العقوبات وانتهاك الحصار ووضع الشركات الواجهات التي تستخدمها طهران في الخليج والشرق الأوسط وأوروبا وأفريقيا تحت تصرف دمشق والتزام دمشق بمساعدة طهران في حال العقوبات عبر شركاتها وشبكاتها وخصوصاً شبكة رجال الأعمال والمال في لبنان.

لمـاذا تـواجه طـهـران واشـنـطـن ..؟

د. رضوان السيد الرأي 16/1/2006 نقلا عن الاتحاد

في الوقت الذي كان فيه محمود أحمدي نجاد، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية يصرح للمرة العاشرة خلال شهر بضرورة إزالة إسرائيل من الخريطة، وإعادة توطين اليهود في أوروبا، كان عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري السابق، يعلن من باريس انشقاقه عن النظام السوري، ودعوته غير المباشرة لإسقاطه أو تغييره فما هي العلاقة بين الأمرين؟ لا علاقة بينهما، إلا أن إيران حريصة على بقاء النظام السوري، بقدر حرص خدام الجديد على إسقاطه!

والعلاقة بين النظامين السوري والإيراني ليست جديدة فقد بدأت وتطورت عشية الحرب التي شنها نظام صدام (العدو الأول لنظام الأسد) على جمهورية إيران الإسلامية الوليدة عام 1980 ثم تحولت إلى شراكة في لبنان من خلال «حزب الله»، وتلاقي الاستراتيجيتين الإيرانية والسورية تجاه المنطقة، وبخاصة في لبنان وفلسطين بيد أن الأمور تغيرت في السنوات الأخيرة لصالح إيران بالكامل فقد كان نظام الأسد الأب يملك أوراقا عديدة يستطيع بها أن يدعي الندية في علاقاته بإيران: صداقة متينة مع السعودية (التي كانت توازن في علاقاتها معه مع نظام صدام حسين)، واليد العليا في لبنان، وجزء من الورقة الفلسطينية ـ والذي حدث في السنوات الأخيرة أن النظام السوري بلغ أقصى حدود الضعف

أيـــام بشـــار الأسد بـــالخروج من لبنـــان، كما فقد أكـــثر أجـــزاء الورقة الفلسطينية، وربما بـدأ يفقد العلاقة مع السـعودية، وتخاصم مع أميركا في العـــراق، ومع المجتمع الـــدولي باغتيـــال رفيق الحريـــري، وبالاغتيـــالات المسـتمرة في لبنـان والـذي حـدث على الجـانب الإيـراني أخطر وأكـبر: تطـورت في السـنوات الخمس الأخـيرة اسـتراتيجية شـاملة للمواجهة مع الولايات المتحدة وعلى كل المستويات: الصراع على العراق بعد التحـالف القصـير عـام 2003 لإسـقاط صـدام حسـين، والصـراع على ثـروات بحر قزوين، والصراع على أفغانسـتان وآسـيا الوسـطى، والصـراع على الملف النووي والآن يدخل النظام الإيـراني النظـام السـوري تحت حمايتـه، ويريد فجأة إزالة إسرائيل بحجة تهديـدها له بنووياتهـا، ولأن قيامها أضر بمصـالح المسلمين.

لماذا يميل الإيرانيـون الآن للقيـام بمواجهة شـاملة مع الولايـات المتحـدة؟ يطرح السؤال، ليس لأن الولايـات المتحـدة مقصـرة في مسـألة الهيمنـة، وليس لأنها لم تبـادر لمصـارعة المشـروع النـووي الإيـراني؛ بل لأنه حـتى أواسط عام 2005 كانت أكثر التقديرات رجحانا تفيد بأن صـفقة يمكن أن تتم بين الطـرفين، وأن الخلاف هو حـول الأولويـات فحسب فـالإيرانيون يريدون صفقة شاملة من النووي وحـتى التفاصـيل الاقتصـادية والسياسـية في شرق إيـران وغربها وجنوبها وشـمالها- والأمـيركيون يفضـلون الاتفـاق على المسائل واحـدة بعد أخـرى من العـراق وإلى لبنـان وبحر قـزوين مع عدم التسليم لإيران بالملف النووي على الإطلاق! بعد الانتخابات الرئاسـية الإيرانية أو على مشارفها لا ندري ماذا حدث:

بدا الإيرانيون مائلين إلى المواجهة الشاملة، في حين كان الأميركيون وما يزالـــون مـــترددين فقد واجه الأمـــيركيون مشـــكلة ضـخمة في العـــراق وانصرفوا لمقاتلة المقاومة السـنية وإرهـاب الزرقـاوي؛ في الـوقت الـذي كان فيه الإيرانيون يسيطرون على المنـاطق الشـيعية، ويقفـون متربصـين على حدود المنطقة الكردية. وفي لبنان، ورغم خروج السـوريين، ما يـزال الإيرانيـــون يملكـــون الفيتو الحقيقي على الاســـتقرار، وعلى المواجهة مع إسرائيل، بواسطة «حزب الله»، ويملكون أيضا النظام السـوري المعـزول والمحتـــاج إليهم في حركاته وســـكناته وأنفـــاس بقائه بل إنهم كســـبوا في فلسطين، ودونما حاجة لضرب إسرائيل بالصواريخ كما هددوا؛ إذ سـيطروا على المقاومة الإسلامية: «الجهاد الإسلامي» وحماس، و«حماس» بالذات تســـتطيع شن الحـــرب على إســـرائيل، في الـــوقت الـــذي تكسب فيه الانتخابـات الفلسطينيةـ إنهم إذن يحفظـون مصـالحهم، ويمـدون نفـوذهم بالمال والتسليح ، ويستطيعون كسب الصـراع مع الولايـات المتحـدة دونما كفاح مسلح مباشر:

فلمـاذا هـذا التصـعيد الأخـير، سـواء في الملف النـووي أو في الملف الإسرائيلي؟ الولايات المتحدة الآن في مواقع الـدفاع في الشـرق الأوسط رغم جيوشـــها الضـارية في كل مكـــان تحتـــاج أميركا إلى الاســـتقرار في العراق، وإلى الاستقرار في لبنان، وإلى الاستقرار في الخليج.

وهكذا تحول «الإضطراب البناء» الذي تحدثت عنه كوندوليزا رايس لغير صالح الولايات المتحدة، وصار «الاضطراب البناء» ذاته عملة إيرانية صعبة تستطيع الكسب عن طريقه بتحريك أحجار الشطرنج دونما حاجة لإحراق أصابعها. فهل تكون تصعيدات محمود أحمدي نجاد تهويلات من أجل إرغام الولايات المتحدة على المهادنة في الملف النووي، مقابل الإعراض الإيراني عن الإزعاج في الملفات السالفة الذكر؟

حتى خريف عام 2005 كانت بقية باقية من المحافظين الجدد في إدارة بوش، ما تزال تميل للصفقة مع إيران. وحجتها في ذلك أن الأصولية السنية (والسنة أكثرية ساحقة بين العرب والمسلمين) بالغة الخطورة، وسواء في ذلك المتطرفون والمعتدلون والمستقبل لدى السنة في ما يبدو- لدى العرب وغيرهم- للأصولية المسماة معتدلة، والتي تكره الولايات المتحدة وإسرائيل أشد الكراهية، والتي لا يمكن ضبطها لعدم وجود مركزية وهرمية دينية سنية يمكن التفاوض معها. ولذلك فإن المستقبل القريب يكون مضمونا إذا قامت علاقة استراتيجية مع إيران بعد تركيا وإسرائيل، وهي الأطراف القوية في المنطقة. بيد أن تطورات أخرى غير امتداد النفوذ الإيراني الدؤوب، طرأت على المشهد. قبل شهور تمت الصفقة الاستراتيجية على الغاز والبترول بين إيران والصين؛ بالإضافة إلى العلاقات الوثيقة القائمة بين روسيا وإيران وفي الوقت نفسه تصاعد العداء الإيراني لإسرائيل، الحليفة الأقرب للمحافظين الجدد، والتي كانت مصالحها كما رأوها، بين أسباب غزو العراق وهكذا فإن الولايات المتحدة إذا سلمت لإيران بالعراق، فإنها لا تستطيع التسليم لها بالنووي، ولا الخليج، كما لا تستطيع من باب أولى التسليم لها بالصفقة الاستراتيجية مع الصين، والتي يثير ازدهارها وصعودها أكبر المخاوف لدى الولايات المتحدة! صحيح أن الأصولية الإسلامية السنية تسببت في حالة من عدم الاستقرار في مناطق نفوذ الولايات المتحدة، والعالم الغربي لكنها ما أضرت حقيقة بالمصالح الاستراتيجية للغربيين وعلى رأسهم أميركا؛ في حين تهدد إيران الجديدة بإحباط المصالح الاستراتيجية الكبرى لذاك العالم: السيطرة على الطاقة لكبح جماح الصين، والسيطرة على الخليج من أجل البترول والغاز، والهيمنة في الشرق الأوسط من أجل أمن إسرائيل.

ماذا تستطيع الولايات المتحدة أن تفعل؟

إيران تلعب لعبة كل شيء أو لا شيء، وإدارة بوش تعاني من المتاعب الداخلية الناجمة عن فشلها في الخارج والداخل في منطقة الشرق الأوسط يفكر الأميركيون في كيفية الحيلولة دون سيطرة إيران على العراق عن طريق استخدام الأكراد، واستئناس السنة. وفي الخليج يفكرون كيف يمكن تقوية مجلس التعاون الخليجي، و«تحديث» أنظمة الحكم ولحماية استقرار الخليج ولبنان وإسرائيل يفكرون كيف يتعاملون مع النظام السوري حتى الآن كانوا يأملون في استيعابه وتحويله كما فعلوا مع النظام الليبي، ويبدو أن المصريين يميلون لوجهة النظر هذه لكن السعوديين (وإلى حد ما القطريون الذين كانوا أصدقاء للنظام السوري) ما عادوا يثقون بإمكان ذلك، بسبب ما فعله السوريون ويفعلونه بلبنان،

وبسـبب تصـديرهم التطـرف الأصـولي إلى العـراق والسـعودية، وبسـبب سيطرة إيران على إدارة الدولة السـورية من خلال السـيطرة على الأمن، الخط الأحمر للنظام والذي يظهر الآن أننا على مشارف اتخاذ قرار بشـأن أحد الاتجــاهين في الملف الســوري: اســتمرار العمل على الاســتيعاب والتحويل خشــية الفوضى والأصــولية إن ســقط النظــام، أو العمل على إسـقاط النظـام لقطع الهلال الشـيعي أو الإيـراني، وحفظ الاسـتقرار في لبنان.

لقد دخلت إيــران وبإرادتها على اللعبة الكــبرى شــأنها في ذلك شــأن إسرائيل وتركيا، والذي يبدو أن حسـاباتها ما انطلقت من الأفكـار الجديـدة حول النمو المستدام، وتحسين ظروف وشروط حيـاة النـاس، بل اسـتنادا إلى انطباعات الحرب الباردة حول القـوة والضـعف ومع أن الأسى يخالط أحاسيسنا نحن العرب لأننا صرنا بسبب الضعف موضوعا للصراع، فإنني لا أحسد الشعب الإيراني على الموضع الذي وضعته دولته فيه.